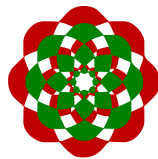


الرَّوْحُ وَالرَّيْحَانُ
فِي نَظْمِ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ

نَظْمُ الشَّيْخِ
تَمِيمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْقَاضِي

شَرْحُ
مُحَمَّدِ بْنِ سَعِيدِ ابْنِ طَوْقِ الْمُرِّيِّ



الروح والريحان في نظم أسماء الرحمن

نظم الشيخ

تميم بن عبد العزيز القاضي

شرح

محمد بن سعيد ابن طوق المري



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرُّوحُ وَالرَّيْحَانُ فِي نَظْمِ أَسْمَاءِ الرَّحْمَنِ

- | | | |
|--|----|---|
| أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّي الْأَحَدُ | ١ | الوَاحِدِ السَّيِّدِ وَالْوَتْرِ الصَّمَدِ |
| بِنَظْمِ أَسْمَاءِ الْإِلَهِ الْحَقِّ | ٢ | مُصَلِّيًّا عَلَى إِمَامِ الْخَلْقِ |
| سَمَّيْتُهَا بِـ«الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ | ٣ | فِي نَظْمِ أَسْمَاءِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ» |
| وَالرُّوحُ تَرْجُو فَضْلَ مَنْ يُحْصِيهَا | ٤ | خَالِقَهَا خَلَّاقَهَا بَارِيهَا |
| مُصَوِّرٌ وَمَالِكُ الْمُلْكِ مَلِكُ | ٥ | مَلِكُ يَاقُوتٍ قَدْ وَحَدْتُ لَكَ |
| الْوَاسِعُ الْكَبِيرُ وَالْمَجِيدُ | ٦ | الْحَيُّ وَالْعَظِيمُ وَالْحَمِيدُ |
| سُبُّوحٌ يَا قُدُّوسُ طَيِّبٌ سَلَامٌ | ٧ | أَعْلَى عَلَيَّ فَوْقَ عَرْشٍ لَا يَنَامُ |
| وَالْمُتَعَالِي وَالْمُحِيطُ الظَّاهِرُ | ٨ | الْبَاطِنُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْآخِرُ |
| مُهَيَّمِنٌ وَهُوَ الشَّهِيدُ وَالرَّقِيبُ | ٩ | وَهُوَ الْعَلِيمُ وَالْخَبِيرُ وَالْقَرِيبُ |
| الْعَالِمُ السَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ | ١٠ | الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْقَدِيرُ |

- وَهُوَ الْحَكِيمُ الْمُحْسِنُ الْجَبَّارُ ١١ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْقَهَّارُ
- هُوَ الْمَتِينُ الْمُتَكَبِّرُ الْقَوِي ١٢ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْجَمِيلُ وَالْحَيُّ
- الْبَرُّ وَالْمُؤْمِنُ وَالْغَنِيُّ ١٣ الْوَارِثُ الرَّفِيقُ وَالْحَفِيُّ
- رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا رَوْوْفُ ١٤ أَنْتَ الْمُبِينُ الْهَادِ وَاللَّطِيفُ
- حَفِيطٌ حَافِظٌ مُجِيبٌ شَافِي ١٥ مَوْلَى وَلِيٌّ وَوَكِيلٌ كَافِي
- مُعْطٍ جَوَادٌ أَكْرَمُ مَنَّانُ ١٦ وَرَازِقٌ رَزَّاقٌ مُسْتَعَانُ
- الْقَابِضُ الْبَاسِطُ وَهَّابٌ كَرِيمُ ١٧ فَتَّاحُ يَا مُقِيتُ إِنَّكَ الْحَلِيمُ
- هُوَ الْحَيُّ وَهُوَ السَّتِيرُ ١٨ الْغَافِرُ الْغَفَّارُ وَالْغَفُورُ
- عَفُوٌّ يَا تَوَّابُ يَا شَكُورُ ١٩ وَدُودُ يَا شَاكِرُ يَا نَصِيرُ
- رُحْمَاكَ يَا حَسِيبُ يَا مُقَدِّمُ ٢٠ مُؤَخِّرُ دَيَّانُ أَنْتَ الْحَكَمُ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (١).

أمّا بعد فقد لقي النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم أبي بن كعب رضي الله عنه فقال له: «أَيُّ آيَةٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ أَعْظَمُ؟».

تأمل.. القرآن الكريم بعد اكتمال نزوله فيه أكثر من ستة آلاف آية في موضوعات كثيرة، والنبي صلى الله عليه وسلم يريد الجواب في اللحظة نفسها! فإذا بأبي بن كعب رضي الله عنه يقول: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، آية الكرسي، «فَضَرَبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي صَدْرِهِ، وَقَالَ: «وَاللَّهُ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ» (٢).

هذا من عمق فهم الصحابة رضي الله عنهم في هذا الباب باب معرفة الله جلّ وعلا بأسمائه وصفاته، أبي بن كعب رضي الله عنه لما سأله النبي صلى الله عليه وسلم هذا السؤال كان على علم بأن أعظم شيء في القرآن الكريم: الآيات التي تتحدث عن الله سبحانه وتعالى، ثم تفكّر فإذا بآية الكرسي قد أخلصت للحديث عن الله سبحانه وتعالى، وعن أسمائه وصفاته؛ فعلم أنّها أعظم آية في القرآن؛ لذلك فإن معرفة الله تعالى بأسمائه الحسنى وصفاته العلا هو أعظم شيء في القرآن الكريم، وأعظم شيء في الدين، وأعظم شيء في الحياة، فحديثنا في هذه المجالس هو حديث عن أكبر شيء، وأعظم شيء، وأجل شيء، وأجمل شيء، وأحسن شيء؛

(١) أصل هذه الأوراق تفرغ لشرح صوتي على الروح والريحان في نظم أسماء الرحمن كان في

شهر رمضان عام ١٤٤٢ هـ، وقد اطلع الشارح على هذه الأوراق قبل نشرها، فراجعها وأعاد صياغة

مواضع يسيرة منها بما يناسب الكتاب المقروء. (رابط الشرح الصوتي) (رابط الشرح على اليوتيوب).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٨١٠).

حديثنا عن الله جل وعلا وأسمائه وصفاته.

وباب الأسماء الحسنی أعظم أبواب الدين، وكل فضيلة وثمره يجنيها المسلم في الدنيا والآخرة فهي من ثمار معرفة الله جل وعلا.

فمن ثمار معرفة الله بأسمائه وصفاته:

المؤلة: أن المسلم لا يمكن أن يحقق الغاية التي خلق لها وهي عبادة الله تعالى على الوجه الذي يحبه الله إلا إذا تعرّف على الله بأسمائه وصفاته، قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، والعبادة مبنية على المحبة والخضوع لله تعالى، وكيف تقوي محبتك لله وخضوعك له إذا لم تتعرّف عليه بأسمائه وصفاته؟! لذلك تجد في القرآن الحث على هذا العلم: ﴿اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٩٨]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [البقرة: ٢٦٧]، ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٣]، ﴿نَبِيُّ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩-٥٠]، بل أخبرنا الله تعالى أنه إنما خلق الكون وأمرنا بالأحكام والشرائع حتى نتعرّف على أسمائه الحسنی وصفاته العلا سبحانه وتعالى؛ كما قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢].

الثانية: أن حياة القلوب وطيب النفوس وانسراح الصدور إنما يكون بذكر الله سبحانه وتعالى ومعرفة أسمائه وصفاته؛ ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، ولا حاجة للأرواح أشد من حاجتها للتعرّف على الله بأسمائه وصفاته، فبذلك يجد المسلم الأنس في قلبه، وإلا فكيف تحقق محبة الله وتشعر بالأنس بالله ومعرفتك بأسمائه وصفاته ضعيفة؟! كيف تُحب من لا تعرف؟! يقول الحسن البصري: «من عرف ربه أحبه»، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: مَنْ كَانَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا»^(١)، وهذا لا يمكن أن تصل إليه إلا إذا تعرّفت على الله تعالى بأسمائه وصفاته،

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٦)، ومسلم في «الصحيح» (٤٣).

فبهذا تفوز بحلاوة الإيمان؛ قال بعض السلف: «مساكين أهل الدنيا خرجوا منها وما ذاقوا أحلى ما فيها، قيل له: وما أحلى ما فيها؟ قال: «معرفة الله جل وعلا».

الثالثة: أن معرفة الله بأسمائه وصفاته هي الأصل لاستقامة المسلم في كل أحواله، إذا همَّ الإنسان بأن يذهب إلى مكان فيه معصية، أو أن ينظر إلى ما حَرَّمَ الله، أو يستمع إلى شيءٍ ممَّا حرم الله من المعازف مثلاً، ما الذي يزجره عن المعصية؟ يزجره أن يتذكر أن الله يراه ويسمعه، ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، زَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ شيئاً من المعاصي ﴿تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، هنا حُذِفَ المعمول، تَذَكَّرُوا ماذا؟ تَذَكَّرُوا رَبَّهُمْ جَلَّ وَعَلَا، تَذَكَّرُوا عِظَمَ اللَّهِ، تَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَرَاهُمْ، أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَسْمَعُهُمْ، تَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِحَالِهِمْ، تَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّقِيبُ، تَذَكَّرُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ، تَذَكَّرُوا الْمَوْتَ، تَذَكَّرُوا الْحِسَابَ، تَذَكَّرُوا الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ﴿فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠١]: فيتركون المعصية، قال بشر الحافي: «لو تفكَّرَ النَّاسُ فِي عِظَمِ اللَّهِ مَا عَصَوْهُ»، إذا عرفت أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ التَّوَّابُ الْكَرِيمُ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ؛ سَأَلَكَ ذَلِكَ إِلَى التَّوْبَةِ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إذا عرفت أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الْقَرِيبُ؛ سَأَلَكَ ذَلِكَ إِلَى مُرَاقَبَتِهِ وَمَحَاسِبَةِ نَفْسِكَ فِي عِبَادَتِهِ، هل تخشع في عبادتك؟ هل تُحَسِّنُ فِي عِبَادَتِكَ؟ إذا أُصِيبَ الْإِنْسَانُ بِمَعْصِيَةٍ مَا الَّذِي يَثْبُتُ؟ مَا الَّذِي يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ السَّكِينَةَ وَالطَّمَأْنِينَةَ؟ الْجَوَابُ: تَذَكُّرُهُ لِأَسْمَاءِ اللَّهِ الْحُسْنَى، ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]؛ أَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلِيمٌ بِحَالِهِ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حَكِيمٌ فِيمَا يَفْعَلُ، أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ الرَّحِيمُ، أَرْحَمَ بِهِ مِنَ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، فَيَطْمَئِنُّ قَلْبُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ مَا ابْتَلَاهُ لِيُشَقِّقَهُ؛ وَإِنَّمَا ابْتَلَاهُ لِيَرْفَعَهُ، وَلِيَكْفُرَ سَيِّئَاتِهِ، تَأَمَّلْ فِي قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمَّا كَانَ فِي غَارِ ثَوْرٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَالْمَشْرُكُونَ قَدْ اقْتَرَبُوا مِنْ فَمِ الْغَارِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ رَفَعَ قَدَمَهُ رَأَانَا» قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ

وسلم: «مَا ظَنَنْتُكَ بِإِثْنَيْنِ اللَّهُ تَالِثُهُمَا»، ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [البقرة: ٢٥] (١).

الرابعة: أن معرفة الله بأسمائه وصفاته تُثمر حسن الخلق، إذا استشعرت أنك في تعاملك مع الناس تتعامل مع ربّ الناس، فإنك إذا أسيء إليك ستكظم غيظك، وتدفع السيئة بالحسنة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٤]، تتذكر أن الله محسنٌ يحب المحسنين فتحسن إلى الناس، هل تعلم ما سرُّ عظمة خُلُق النبي صلى الله عليه وسلم؟! ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]، يقول الجُنيد رحمه الله: «سَمَى خُلُقَهُ عَظِيمًا إِذْ لَمْ تَكُنْ لَهُ هَمَّةٌ سِوَى اللَّهِ» فكان ظاهره مع الخلق، وباطنه مع الحق جل جلاله (٢).

وثمار معرفة الله بأسمائه وصفاته لا تنتهي، فكل خيرٍ في الدنيا والآخرة فهو من ثمارها، ونحن نريد أن نعيش حياتنا مع أسماء الله وصفاته، نريد أن نكون على ذكرٍ دائمٍ لله كما كان النبي صلى الله عليه وسلم، كان صلى الله عليه وسلم ذات يوم جالسًا مع أصحابه فرأى القمر ليلة البدر، فتذكر رؤية الله تعالى في الجنة؛ فقال لأصحابه رضي الله عنهم: «إِنَّكُمْ سَتَرُونَ رَبَّكُمْ، كَمَا تَرُونَ هَذَا الْقَمَرَ، لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَيْهِ» (٣)، انظر كيف كان قلبه صلى الله عليه وسلم على صلةٍ دائمةٍ بالله، كل شيء يُذكره بالله، وفي «الصحيحين» لما رأى المرأة من السبي التي وجدت صبيًا في السبي فأخذته فألصقته ببطنها وأرضعته، قال صلى الله عليه وسلم: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ قُلْنَا: لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ، فَقَالَ: «لَلَّهِ أَرْحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلِدَهَا» (٤)، ولما ذكر للنبي صلى الله عليه وسلم أن رجلاً اغتسل في العراء بغير إزار، تذكر النبي صلى الله عليه وسلم حياء الله تعالى فخطب في الناس، لم يقل: إذا اغتسلتم

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٦٦٣)، ومسلم في «الصحيح» (٢٣٨١).

(٢) أخرجه الثعلبي في «التفسير» (١٥٤ / ٢٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٥٤)، ومسلم في «الصحيح» (٦٣٣).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٩٩٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٥٤).

فاسْتَبْرُوا؛ بل قال: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّي سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتَرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَرْ»^(١).

وانظر في منهج القرآن في تقرير الأحكام كيف تُربط الأحكام بأسماء الله وصفاته: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٨]، ﴿لِلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ تَرَبُّصُ أَرْبَعَةِ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦ - ٢٧]، وانظر في قصص القرآن كذلك تُربط بالأسماء والصفات، لما ذكر الله تعالى قصص بعض أنبيائه في سورة الشعراء ختم كل قصة منها بقوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾ [الشعراء: ٨-٩]، العزيز: الذي انتقم من أعدائه فأهلكهم، والرحيم: الذي نصر أنبياءه وأوليائه فَرَحَمَهُمْ، ومن عرف الله سبحانه وتعالى بأسمائه وصفاته، وتفكر فيها في حياته؛ فإنه سيكون في شغلٍ شاغلٍ، كما قال بعض السلف: «من عرف الله فهو في شغلٍ شاغلٍ»، سيكون دائم الذكر لله بقلبه، وسيُلهج لسانه بذكر الله وتعظيمه وحمده، وتَسَاقُ جوارحه لطاعته، وقد قال ابن القيم رحمه الله في «طريق الهجرتين»: «السير إلى الله تعالى من طريق الأسماء والصفات شأنه عَجَبٌ، وفتحُه عَجَبٌ، صاحبه قد سبق السُّعَاةُ وهو مُسْتَلَقٌ على فراشه، غير تَعَبٍ، ولا مكدودٍ، ولا مُشْتَتٍ على وطنه، ولا مُشَرَّدٍ عن سكنه»^(٢).

وأسماء الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن تنحصر بعددٍ معين؛ لأنَّ كمال الله تعالى لا نهاية له، وأسماءُ الله سبحانه وتعالى الحسنى وصفاته العُلا تدل على كماله، فلو كانت أسماءُ محصورة لكان كمالُه محصوراً، ولكانت عظمتُه محدودة، وهذا لا يليق بالله سبحانه وتعالى، فكمال الله تعالى لا نهاية له، وكذلك أسماءُ غير محصورة، وقد قال النووي في قوله صلى الله

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٠٦)، وأبو داود في «السنن» (٤٠١٢) وصححه الألباني في «إرواء الغليل» (٣٦٧ / ٧).

(٢) ينظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم (١ / ٤٧٠).

عليه وسلم: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١): «أجمع العلماء على أن هذا الحديث ليس فيه حصر»^(٢)، ويقربُ هذا: أنه لو قال قائل: عندي تسعة وتسعون درهماً أعددتُها للصدقة، فهل معنى هذا: أنه ليس عنده إلا تسعة وتسعون درهماً؟ هل يفهم هذا؟ الجواب: لا. ولو قال: عندي مئة كتاب جعلتها لمن يحتاج إليها من طلبة العلم، أو قال: عندي مئة جعلتها هديةً لفلان، لا تفهمُ أنه لا يملك غيرها، فكذلك هذا الحديث: «إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمًا» فالمعنى: أن هذه الأسماء التسعة والتسعين من شأنها: أن من أحصاها دخل الجنة، وليس المعنى أن الأسماء محصورة في هذا العدد.

ويدلُّ على أن أسماء الله تعالى لا حصر لها: حديث: «مَا أَصَابَ أَحَدًا قَطُّ هَمٌّ، وَلَا حَزَنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ، سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ...» الحديث^(٣)، لاحظُ هذا التقسيم، فالأسماء في الحديث ثلاثة أقسام:

الأول: أسماء أنزلها الله تعالى في القرآن نعرفها.

الثاني: أسماء علَّمها الملائكة؛ «أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ».

الثالث: أسماء استأثر الله تعالى بها فلا نعرفها؛ «أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ».

ويدلُّ على هذا أيضاً: حديث الشفاعة؛ فإنَّ النبي صلى الله عليه وسلم أخبر أنه يقول: «أَنَا

لَهَا»^(٤)، ويأتي تحت العرش ويسجد لله جل وعلا، قال صلى الله عليه وسلم: «ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٧٣٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٧٧).

(٢) ينظر: «شرح مسلم» للنووي (٥ / ١٧).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٧٨٨)، وابن حبان في «الصحيح» (٩٧٢)، وصححه الألباني في «السلسلة

الصحيحة» (٣٨٣ / ١).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٥١٠)، ومسلم في «الصحيح» (١٩٣).

عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئًا، لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي»^(١)، وأيضًا قوله صلى الله عليه وسلم في سجوده: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَبِكَ مِنْكَ، لَا أُحْصِي ثَنَاءَ عَلَيْكَ، أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ»^(٢)، أي لو أحصى أسماءه وصفاته لأحصى الثناء.

والإحصاء الوارد في حديث: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(٣) له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: معرفة ألفاظ أسماء الله الحسنى، وهذا سهل واضح، وقد جمَعَ الأسماء الحسنى كثيرٌ من العلماء في كتبهم: كالحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في «فتح الباري»، وفي «التلخيص الحبير»، والشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى في «القواعد المثلى»، والشيخ عبدالمحسن العباد حفظه الله في «قُطْفُ الْجَنَى الدَّانِي شرح مقدمة رسالة ابن زيد القيرواني»، وكلُّ هذه المراجع متَّفِقة في أكثر الأسماء، ويوجد في بعضها ما لا يوجد في الآخر؛ مثلاً الشيخ العباد حفظه الله زاد على ما في الكتب الثلاثة: «الفتح»، و«التلخيص»، و«القواعد المثلى» اسمي: السَّيِّر، والدِّيَّان، وسيأتي -إن شاء الله- الكلام عن هذا.

المرتبة الثانية: أن تعرف معاني الأسماء الحسنى، وهذا أيضًا أكثره واضح، الناس يعرفون معنى الرحمن، يعرفون معنى القدير، يعرفون معنى التَّوَّاب، يعرفون معنى الحكيم، لكن أحيانًا قد يغفل أحدنا عن بعض المعاني؛ فمثلاً: اسم الله: الجَبَّار واضح أنَّه صاحب الجبروت والقوة والعظمة، لكن هل خطر في قلبك أن تسأل الله باسمه الجَبَّار أن يجبر قلبك؟ فمن معاني الجبار: الذي يجبر كسر المنكسرين، ويجبر القلوب المنكسرة، وهذا -إن شاء الله- سيأتي في معاني الأسماء.

المرتبة الثالثة: التَّعَبُّدُ لله بأسمائه الحسنى بالعمل بمقتضاها، وهذا هو المقصود من

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٧١٢)، ومسلم في «الصحيح» (١٩٤).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٤٨٦) بنحوه.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٧٣٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٧٧).

التفكر في أسماء الله الحسنى، فمن قام هذه الليالي يصليّ يلتمس ليلة القدر؛ هذا في الحقيقة قد تعبّد باسم الله العليم، والبصير، والرحيم؛ لأنّه يعلم أن الله تعالى يعلم حاله ويراه، فهو بهذا يرجو رحمة الله، المرأة المسلمة إذا خرجت بحجابها هي في الحقيقة تتعبّد باسم الله البصير؛ لأنّها تعرف أنّ الله يراها، تتعبّد باسم الله الحيّ؛ لأنّها تعرف أن الله تعالى يحب الحياة فتتجسّب، الذي يوقن أن الله تعالى يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور؛ لا يكون في قلبه غلٌّ وحقْدٌ على إخوانه، فهذا من التعبّد لله باسمه العليم، مثلاً: الذي يغتاب الناس ويسخر منهم؛ هذا ما قام بمرتبة: «مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ»^(١)؛ لأنّه لم يتعبّد لله باسمه السميع، مثلاً: لو تفكّرت في اسم الله العظيم؛ هذا يبعثك على أن تبذل كل جهدك واستطاعتك في تعظيم الله تعالى، فيجعلك تطيل الركوع الذي هو محل التعظيم؛ «فَأَمَّا الرُّكُوعُ فَعَظُمُوا فِيهِ الرَّبُّ عَزَّ وَجَلَّ»^(٢): سبحان ربّي العظيم، وتطيل صلاتك، وتكثر من ذكر الله فيها.

وهذا أوان الشروع في مدارس الأسماء الحسنى لله سبحانه وتعالى، وستكون عن طريق قراءة منظومة «الروح والريحان في النظم والبيان لأسماء الرحمن جل جلاله»، للشيخ د. تميم بن عبدالعزيز القاضي، أدام الله نفعه، وأجرى الخير على يديه، وقد اعتمد على ما في «القواعد المثلى» للشيخ ابن عثيمين، وأضاف إليها ثمانية أسماء ممّا اختاره الأئمة: كابن القيم، وابن سعدي، وابن باز، أو اختاره بعضهم ممّا رأى الشيخ قوة دليله.

من ميزة هذا النظم: أنّه ضمّ المتقارب في المعنى من هذه الأسماء، وهذا أقرب إلى الفهم، وأسهل في التذكّر، وأسهل في الشرح والبيان، وأقرب إلى أن تستحضرها في الدعاء.



(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٧٣٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٧٧).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٤٧٩).

قال الناظم:

- أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ رَبِّي الْأَحَدِ ١ الْوَاحِدِ السَّيِّدِ وَالْوَثَرِ الصَّمَدِ
بِنَظْمِ أَسْمَاءِ الْإِلَهِ الْحَقِّ ٢ مُصَلِّيَا عَلَى إِمَامِ الْخَلْقِ
سَمِّيْتُهَا بِ«الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ» ٣ فِي نَظْمِ أَسْمَاءِ رَبِّنَا الرَّحْمَنِ
وَالرُّوحُ تَرْجُو فَضْلَ مَنْ يُحْصِيهَا ٤ خَالِقَهَا خَلَقَ لَهَا بَارِيَهَا

قوله: «أَبْدَأُ بِاسْمِ اللَّهِ»: أول الأسماء المذكورة هنا الاسم الكريم: «الله»، لو سألنا أنفسنا ما معنى هذا الاسم الكريم «الله»؟ أحد أهل العلم كان مدرِّسًا في مدرسة في آخر المرحلة الثانوية، فكان يسأل الطلاب في الفصل: ما معنى الاسم الكريم «الله»؟ فبعضهم يقول: هو الخالق، وبعضهم يقول: الواحد، وبعضهم يقول: الملك، هكذا تأتي الأجوبة، فيقول لهم: هذه أسماء أخرى لله. وهذا يدل على تقصيرنا وضعفنا في هذا العلم، هناك آيتان في كتاب الله هما كالتَّصُّ على معنى هذا الاسم الكريم:

إِذَا سَبَّحْتَهُمَا: قوله سبحانه وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ﴾

[الأنعام: ٣]، معلوم أن الله سبحانه وتعالى على عرشه، فما معنى الآية؟

الجواب: معبودٌ في السَّمَاوَاتِ وفي الأرض، أي يعبدُهُ أهل السماء، ويعبدُهُ أهل الأرض، فهو المألوه المعبود في السماء، وفي الأرض، إذاً معنى الله: المعبود، المعبود محبةً وتعظيمًا.

وَالْآخِرَةُ: في سورة الزخرف: وهي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ﴾

[الزخرف: ٨٤]، أي المعبود في السماء، والمعبود في الأرض.

وهذا الاسم يدل على الغاية التي خُلِقْنَا من أجلها، يدل على أعظم مطلوب، فهو أعظم

اسم لله جل وعلا، والله تعالى إنَّما خلقنا في هذه الحياة الدنيا لعبادته؛ ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ

إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]، وهذا الاسم يجعل المسلم يُخلص لله في عبادته، وقد قال

كثيرٌ من العلماء: هو الاسم الأعظم، الاسم الأعظم للعلماء فيه أقوال؛ من أشهر هذه الأقوال: أنه الاسم الكريم: «الله»، ويدلُّ لصحة هذا: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم لما سمع الرجل الذي يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ وَحْدَكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ، الْمَنَّانُ يَا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»^(١)، وأيضًا سمع رجلًا آخر يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنِّي أَشْهَدُ أَنَّكَ أَنْتَ اللَّهُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، الْأَحَدُ الصَّمَدُ الَّذِي لَمْ يَلِدْ، وَلَمْ يُولَدْ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَ اللَّهَ بِاسْمِهِ الْأَعْظَمِ»^(٢)، فتجد أنَّ المشترك هنا: هو الاسم الكريم: «الله» وصفة الألوهية، والأسماء كلها ترجع إليه، فيقال: من أسماء الله: الخالق، من أسماء الله: القدير، فالقدير من أسماء الله، والخالق من أسماء الله، لا يُقال: الله من أسماء الخالق، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾ [الأعراف: ١٨٠]، فالأسماء كلها ترجع إليه، وقيل: إن الاسم الأعظم: هو الحي القيوم، وهذا القول يأتي ثانيًا في المرتبة.

قوله: «رَبِّي»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الرَّبُّ، والرَّبُّ: هو المٌصْلِحُ للشيء، يحفظ الشيء ويرعاه، ولذلك يسمَّى الأبُّ ربَّ البيت؛ لأنَّ الأبَّ يقوم بحفظ أسرته ورعايتها وإصلاحها، وكذلك الأم، فالله تعالى هو ربُّنا الذي خلقنا ورزقنا، والذي يصلح أحوالنا، ما لنا ربٌّ سواه، فالربُّ: هو المالك الذي له الخلق والأمر، وهو المربي المصلح لشؤون خلقه بنعمه، وهو السيّد المطاع، والإقرار بالربوبية يستلزم الإقرار بالألوهية لله سبحانه وتعالى، لذلك انظر كيف دعا إبراهيم قومه بصفة الربوبية؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَآتِلْ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ۖ قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظِلُ لَهَا عَافِيَيْنَ ۖ قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُم ۖ

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (١٣٠٠)، وأبو داود في «السنن» (١٤٩٥)، وابن ماجه في «السنن»

(٣٨٥٨)، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٣٣ / ٥).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٤٩٣)، والترمذي في «الجامع» (٣٤٧٥)، وابن ماجه في «السنن»

(٣٨٥٧)، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٩ / ٥).

إِذْ تَدْعُونَ ۖ أَوْ يَنْقَعُونَكُمْ أَوْ يُضْرَبُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٣﴾ قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٧٤﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٥﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٧﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ ﴿٧٨﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٧٩﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨١﴾ [الشعراء: ٦٩-٨٢]، فهذه كلها من صفات الربوبية لله تعالى، دعا خليل الله إبراهيم قومه إلى عبادة الله تعالى بصفة الربوبية، وانظر أيضاً في قول كليم الله موسى عليه السلام لفرعون لما سأله فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ [الشعراء: ٢٣-٢٨]، وقال الله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، أعطى كل مخلوق ما يحتاجه، ثم هداه لمصالح حياته، وكم يمتلئ القلب بالطمأنينة والأنس إذا دعا الله باسمه الرَّبِّ، يستشعر أن الله عز وجل هو القائم بأمره، هو الذي يصلح شأنه، هو الذي يحفظه، هو الذي يرعاه، لذلك انظر إلى دعاء النبي صلى الله عليه وسلم الذي يروى في السيرة لما خرج إلى الطائف يبحث عمن ينصر هذا الدين، فإذا بأهل الطائف يعادونه ويغرون به سفهاءهم وصبيانهم حتى رموه بالحجارة وأدموا قدميه الشريفتين صلى الله عليه وسلم، لما خرج إلى بستان لابني ربيعة وقام يدعو قال: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَشْكُو إِلَيْكَ ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعِفِينَ، وَأَنْتَ رَبِّي، إِلَى مَنْ تَكِلْنِي؟ إِلَى بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي؟ أَمْ إِلَى عَدُوٍّ مَلَكَتْهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أُبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ مِنْ أَنْ تُنْزِلَ بِي غَضَبَكَ، أَوْ يَحِلَّ عَلَيَّ سُخْطُكَ، لَكَ الْعُتْبَى حَتَّى تَرْضَى، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ»^(١)، فحين تسمع هذا الدعاء تشعر أن قلب النبي صلى الله عليه وسلم قد امتلأ بكمال الافتقار إلى الله سبحانه وتعالى

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٨١)، وفي إسناده ابن إسحاق وهو مدلس وقد عنعنه لذا ضعفه

الألباني في «السلسلة الضعيفة» (٦ / ٤٨٧) وبقية رجاله ثقات.

وحده؛ لأنَّ الله عز وجل هو الذي يُصلح شأنه، هو رَبُّهُ الذي يُربِّيهِ ويحفظه ويرعاه.

قوله: «الْأَحَدُ الْوَاحِدُ السَّيِّدُ الْوَتِيرُ الصَّمَدُ»: هذه الأسماء كُلُّها تقرر وحدانية الله سبحانه وتعالى، وفي القرآن سورة تُقرِّر مدلول هذه الأسماء هي سورة الإخلاص.

بعث النبي صلى الله عليه وسلم سرِّيَّة وأمرَ عليهم رجلاً يصلي بهم، فكان كلما قرأ الفاتحة ثم قرأ سورة بعدها ختم بالإخلاص، ثم يركع وهكذا في باقي الركعات، أي يقرأ الفاتحة، ثم يقرأ سورة، ثم يقرأ الإخلاص، ثم يركع، وهكذا في كل ركعة، فسئل الرجل عن ذلك فقال: «لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا»، فلمَّا أخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك قال: «أَخْبِرُوهُ أَنَّ اللَّهَ يُحِبُّهُ»^(١)، وحصلت قصةٌ مشابهة في مسجد قباء: كان رجل من الأنصار يؤمُّ الناس، فكان إذا قرأ الفاتحة قرأ بعدها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، ثم يقرأ سورة أخرى، هكذا في كل ركعة يقرأ بعد الفاتحة الإخلاص، ثم يقرأ سورة أخرى، فأنكر أصحابه عليه؛ لأنَّه ما عهدَ هذا عن النبي صلى الله عليه وسلم، فقال: «إِنْ أَحْبَبْتُمْ أَنْ أُؤَمِّكُمْ بِذَلِكَ فَعَلْتُ، وَإِنْ كَرِهْتُمْ تَرَكْتُكُمْ، وَكَانُوا يَرَوْنَ أَنَّهُ مِنْ أَفْضَلِهِمْ»، فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم بذلك، فسأله النبي صلى الله عليه وسلم قال: «يَا فُلَانُ، مَا يَمْنَعُكَ أَنْ تَفْعَلَ مَا يَأْمُرُكَ بِهِ أَصْحَابُكَ، وَمَا يَحْمِلُكَ عَلَى لُزُومِ هَذِهِ السُّورَةِ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ؟ فَقَالَ: إِنِّي أُحِبُّهَا، فَقَالَ: «حُبُّكَ إِيَّاهَا أَدْخَلَكَ الْجَنَّةَ»^(٢)، انظر إلى هذه الأجوبة العجيبة: الأول: قال: «لِأَنَّهَا صِفَةُ الرَّحْمَنِ، وَأَنَا أَحِبُّ أَنْ أَقْرَأَ بِهَا»، الثاني: قال: «إِنِّي أُحِبُّهَا»، وتأمَّل في قصة ثالثة عجيبة أيضاً: قتادة بن النعمان رضي الله عنه قام في السحر يصلي صلاة الليل فجعل يُكرِّر سورة الإخلاص، بعد أن يقرأ الفاتحة يقرأ سورة الإخلاص ويكرِّرها، فسمعه أخوه لأُمِّه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه، فذهب إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبره كأنَّه يتقلَّها -أي يراها قليلة-

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٣٧٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٠٠).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» معلقاً (١/ ١٥٤)، ووصله الترمذي في «الجامع» (٢٩٠١)، وأخرجه

أحمد في «المسند» مختصراً (١٢٤٣٢) وصححه محققوه.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنَّهَا لَتَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ»^(١)، ولننظر في حالنا إذا قرأنا سورة الإخلاص قد نقرأها ونكررها شيئاً، ثم نتوقف ألسنتنا، فانظر لهذا الصحابي يقوم الليل حتى يصبح ويتلذذ بسورة الإخلاص التي فيها تقرير الوجدانية، وتقرير مدلول هذه الأسماء: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١ - ٤].

قوله: «الوَاحِد»: هو واحد في ذاته، واحد في أسمائه وصفاته، واحد في ألوهيته، فهو المعبود وحده، والآخر كذلك؛ لكن الآخر أبلى من الواحد.

مسألة: لماذا اسم الآخر أبلى من اسم الواحد؟

الجواب: الآخر صفة مشبهة، والواحد: اسم فاعل، والصفة المشبهة تزيد على اسم الفاعل بأنها تفيد تمكُّن الوصف من موصوفها، ففيها زيادة على معنى اسم الفاعل، كما يقول النحاة: الصفة المشبهة: اسم مشتق للدلالة على اسم الفاعل على وجه الثبوت، ففيها تمكُّن الوصف من الموصوف.

قوله: «السَّيِّد»: اسم الله تعالى السَّيِّد يجعل الإنسان خاضعاً لله، مفتقراً إليه، يتفكر في سيادة الله المطلقة، وأنها فوق كل سيادة ومُلْك؛ ﴿لَمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾ [غافر: ١٦]، ففي الصيام تشعر وأنت على مائدة الإفطار أنك عبد لله، خاضع بين يدي سيِّدك، تنتظر حتى تُلقِي اللقمة في فمك وأنت جائع تنتظر إذن سيِّدك، في الصلاة ترفع يديك مُستسلماً خاضعاً لله، وهذا شأن العبد بين يدي سيِّده، كان النبي صلى الله عليه وسلم يقوم الليل حتى تنفطر قدماه، ويقول: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا»^(٢)، وذات ليلة قال لعائشة رضي الله عنها: «ذَرِينِي أَتَعَبَّدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ قُرْبَكَ، وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ، قَالَتْ: فَقَامَ فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي، قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٠١٣) بدون ذكر قتادة.

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٤٨٣٧)، ومسلم في «الصحيح» (٢٨١٩).

لِحَيْثُهُ، قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ»^(١)، فانظر إلى عبادته صلى الله عليه وسلم تجدها عبادةً مصبوغة بالافتقار إلى الواحد الأحد الوتر الصمد السيّد، كان يأكل كما يأكل العبد، ويجلس كما يجلس العبد، كان طويل الصمت، قليل الضحك، ضحكته تبسم، يكون في بيته في مهنة أهله، ينام على الحصير، ويأكل القديد، إذا جلس مع أصحابه لا يُعرف، حتّى إنه يدخل الدّاخل ويقول: أفیکم محمد صلى الله عليه وسلم؟ وفي مجلسه سُمِعَ يقول: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَتُبْ عَلَيَّ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْعَفُورُ، حَتَّى بَلَغَ مِئَةَ مَرَّةٍ»^(٢)**، يقولها مئة مرة في المجلس الواحد، وهذا هو الذي نريده؛ نريد أن نتعلم أسماء الله الحسنى حتى نتعبد لله بمقتضاها، كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم، وكما كان الصحابة رضي الله عنهم، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعل لنا من هذا أوفر الحظّ والنصيب.

قوله: **«وَالْوِتْرِ»**: والفرد الواحد، وترى كيف أن الله عز وجل جعل كثيرًا من أحكام الدين في الصورة الظاهرة وترًا؛ خمس صلوات في اليوم والليلة، تختم صلاة النهار بصلاة المغرب التي هي ثلاث ركعات، وتختم صلاة الليل بالوتر، **«أَوْتِرُوا يَا أَهْلَ الْقُرْآنِ فَإِنَّ اللَّهَ وَتَرُ يُحِبُّ الْوِتْرَ»^(٣)**، إذا أصبحت في عيد الفطر تُفطر على تمراتٍ وتجعلهنّ وترًا، والطواف حول الكعبة سبعة أشواط، والسَّعي كذلك، ورمي الجمار كذلك يكون بسبع حصيات، وكان ابن سيرين رحمه الله تعالى وهو الذي روى حديث: **«إِنَّ اللَّهَ وَتَرُ، يُحِبُّ الْوِتْرَ»^(٤)** عن أبي هريرة

(١) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٦١٩)، وحسنه الألباني كما في «التعليقات الحسان على صحيح ابن حبان» (٨٣ / ٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٢٣٦٢٠)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٩٨٥١) واللفظ له، وصحح إسناده الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢٠٠ / ٦).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٧٨) والنسائي في «المجتبى» (١٦٧٥)، وأبو داود في «السنن» (١٤١٦)، والترمذي في «الجامع» (٤٥٣)، وابن ماجه في «السنن» (١١٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (١٥٩ / ٥).

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٧٧) من طريق الأعرج عن أبي هريرة رضي الله عنه.

رضي الله عنه يستحب الوتر في كل شيء حتى إن كان ليأكل وتراً^(١).

قوله: «الصَّمد»: الصمد: من صَمَدَتْ إليه: أي قصدته بحاجتي، ولذلك كانت العرب تُسمِّي السَّيِّدَ الْمُطَاعَ صَمَدًا؛ لأنَّ الناسَ يَصْمُدُون إليه، ويقصدونه بحوائجهم، وابن عباس رضي الله عنهما في تفسير الصَّمد قال: «السيد الذي كُمل في سؤدده، والشريف الذي كُمل في شرفه، والعظيم الذي كُمل في عظمته، والحليم الذي كُمل في حلمه، والعليم الذي كُمل في علمه»^(٢)، هكذا عدَّد أسماءَ الله سبحانه وتعالى، فتعلم بهذا: أنَّ معنى الصمد: الكامل في صفاته الذي تصمَّد إليه المخلوقات، وتفتقر إليه بحوائجها، كما قال ابن القيم في «النونية»^(٣):

وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّامِدُ الَّذِي صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِذْعَانِ
الْكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُو ه كَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ

فاسم الله الصمد يجمع الكمال، والصَّمد أيضًا: الباقي بعد خلقه، والصَّمد أيضًا: الشيء المصمَّد الذي لا جوف له؛ ولذلك جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في معنى الصمد: «الذي لا جوف له»^(٤)؛ بمعنى: أنه لا يحتاج إلى شيء، لا يأكل، ولا يشرب، كما قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعام: ١٤]؛ ولذلك الملائكة تسمي: صُمدًا؛ لأنَّهم لا يأكلون ولا يشربون، وهذا المعنى يدل على غنى الله تعالى وكمالهِ جل جلاله.

وأنت تشعر إذا تفكَّرت في هذه الأسماء -الواحد، الأحد، الصَّمد- أنك لا تحتاج إلا إلى الله سبحانه وتعالى، فلا يلتفت قلبك إلى غيره سبحانه وتعالى.

ومن أعظم ثمار التعبُّد لله باسم الله الواحد، والأحد، والصَّمد: الإخلاص والصدق في

(١) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف» (٩٨٠٢) عن ابن سيرين رحمه الله.

(٢) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٩٨).

(٣) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣/ ٧٢٥).

(٤) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠٠)، وعبد الرزاق في «التفسير» (٣٧٣٨)، وابن جرير

الطبري في «التفسير» (٢٤ / ٧٣١) عن مجاهد رحمه الله من قوله.

عبادة الله سبحانه وتعالى، تنظر إلى المخلوقات تراها ضعيفة فقيرة، كُلُّهَا تَصُمُدُ إِلَى خَالِقِهَا، فلا يلتفت قلبك إليهم، إذا كانت هي في أنفسها تَصُمُدُ إِلَى الله وتحتاج إليه؛ فكيف تُعْبَدُ مع الله؟! لذلك قال الله تعالى عن الصالحين الذين غَلَا فِيهِمُ الْمُشْرِكُونَ حتى عبدوهم: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا﴾ [الإسراء: ٥٧]، وقد قال ابن القيم:

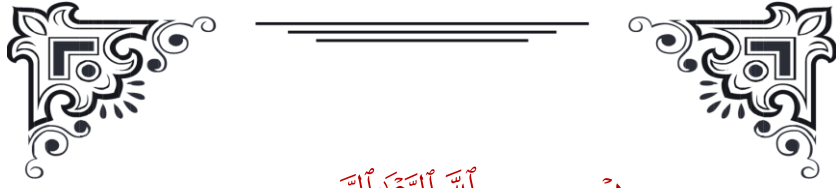
فَلِوَاحِدٍ كُنْ وَاحِدًا فِي وَاحِدٍ أَغْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ
«فَلِوَاحِدٍ»: أي الله.

«كُنْ وَاحِدًا»: أي في قصدك وعبادتك، فلا تشتت قلبك، بل اجمع همك على الله سبحانه وتعالى.

«فِي وَاحِدٍ»: فسرهُ بقوله: «أَغْنِي طَرِيقَ الْحَقِّ وَالْإِيمَانِ».

قوله: «بِنَظْمِ أَسْمَاءِ الْإِلَهِ الْحَقِّ»: الاسم الكريم: «الله» مشتق من «الإله»، حُذِفَت الهمزة، وأُدغمت اللَّام الأولى في الثانية فقليل: الله، يقال: أَلَهْ يَأْلَهُ إِلَاهَةً أي عبدَ يَعْبُدُ عبادة، وقد قرأ ابن عباس: ﴿وَيَذَرُكَ وَالْإِهْتِكَ﴾: أي عبادتك.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الناظم:

بِنَظْمِ أَسْمَاءِ الْإِلَهِ الْحَقِّ ٢ مُصَلِّيًا عَلَى إِمَامِ الْخَلْقِ
 سَمَّيْتُهَا بـ «الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ» ٣ فِي نَظْمِ أَسْمَارِ بِنَا الرَّحْمَنِ
 وَالرُّوحُ تَرْجُو فَضْلَ مَنْ يُحْصِيهَا ٤ خَالِقَهَا خَلَقَهَا بَارِيهَا
 مُصَوِّرٌ وَمَالِكُ الْمُلْكِ مَلِكٌ ٥ مَلِكُكَ يَا قِيُومُ قَدْ وَحَّدْتُ لَكَ
 الْوَاسِعَ الْكَبِيرَ وَالْمَجِيدُ ٦ الْحَيِّ وَالْعَظِيمُ وَالْحَمِيدُ



من أسماء الله تعالى: الحقُّ، والحقُّ خلاف الباطل، فالله تعالى هو الحقُّ، فوجوده حق، وقوله حق؛ أي صدق، وعبادته هي الحق، فهي العبادة النافعة، وغيره معبودات بالباطل، وتأمل في دعاء الاستفتاح الذي جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل كما في «صحيح البخاري»: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ قِيَمُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ الْحَقُّ وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ»^(١)، فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يكرّر هذا الدعاء في صلاة الليل، والمسلم إذا كرّر هذا الدعاء بلسانه وتكرّر وقعه على قلبه؛ رَسَخَ الإيمان في قلبه؛ فازدادَ خشوعًا

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١١٢٠).

وتعظيمًا لله سبحانه وتعالى.

مسألة: وما السورة التي مقصودها إحقاق الحق في الدنيا بإهلاك المكذبين وفي الآخرة؟

الجواب: هي سورة الحاقة فيها إحقاق الحق في الدنيا بجزاء المكذبين وإهلاكهم:

﴿الْحَاقَّةُ ۝١ مَا الْحَاقَّةُ ۝٢ وَمَا أَذْرَاكَ مَا الْحَاقَّةُ ۝٣ كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌ بِالْقَارِعَةِ ۝٤﴾ [الحاقة: ١ -

٤]، فذكر فيها إهلاكهم، ثم ذكر إحقاق الحق في الآخرة: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾

[الحاقة: ١٩]، ثم قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ﴾ [الحاقة: ٢٥]، وسمي يوم القيامة

بالحاقة، ثم تأمل كيف قال في آخرها: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة: ٤٤]: أي

النبي صلى الله عليه وسلم، وحاشاه أن يزيد في الوحي أو أن يتقوّل على الله، لكن انظر كيف

أنّ الحق أكبر من كل شيء، ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ۝٤٤ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ۝٤٥ ثُمَّ

لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ۝٤٦ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ۝٤٧﴾ [الحاقة: ٤٤ - ٤٧]، وهذا الكلام

يوجّل له القلب، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ [الإسراء: ١٠٥]، ثم بعد الموت ينكشف

الحق للناس جميعًا ولا ينفع الندم: ﴿لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ

الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: ٢٢]، قال تعالى بعد أن ذكر الجزاء والجنة والنار: ﴿ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ

شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَا بَاءًا﴾ [النبا: ٣٩]، وقال: ﴿ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ

أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ﴾ [الأنعام: ٦٢]، فعلينا أن نستعدّ لليوم الحق: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِقُهُمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقِّ

وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥].

قوله: «مُصَلِّيًا عَلَىٰ إِمَامِ الْخَلْقِ»: صلى الله عليه وسلم.

قوله: «سَمِيَّتْهَا بِالرَّوْحِ وَالرَّيْحَانِ فِي نَظْمِ أَسْمَارِ رَبَّنَا الرَّحْمَنِ»: هذا اسم المنظومة،

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ ۝٨٨ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ۝٨٩﴾ [الواقعة: ٨٨ - ٨٩]

الرَّوْح: الرَّاحَةُ التي لا تعب بعدها، والسرور والبهجة، والرَّيْحَان: يُطلق على الرائحة الطيبة،

ويطلق على كل رزق طيب، فيكون اسمًا جامعًا لكل لذة بدنية من أنواع المآكل والمشارب

وغيرها، فكأنَّ الرَّوْح راجع إلى نعيم القلب، والرَّيْحَان راجع إلى نعيم البدن، هذا معناه في

الآية، ومعرفة الله بأسمائه وصفاته في الحقيقة رَوْحٌ وريحانٌ، ونعيمٌ وبهجةٌ وسُرورٌ.

قوله: «وَالرُّوحُ تَرْجُو فَضْلَ مَنْ يُحْصِيهَا»: الإحصاء الذي تقدّم الكلام عنه، وأنه ثلاث مراتب.

قوله: «خَالِقَهَا خَلَقَهَا بَارِيهَا مُصَوِّرٌ»: هذه الأسماء متقاربة؛ الخلق في اللغة:

التقدير، كما قال زهير بن أبي سلمى يمدح هَرَمَ بن سنان:

وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْدَ — ضُ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

مسألة: ما معنى: وَلَأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ؟

الجواب: أنت إذا قدّرت أمراً أمضيته وقطعته، (وَبَعْدَ الْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي) غيرك

يقدر ما لا يمضيه، يعني أن غيرك ليس بماضي العزم، أمّا أنت فعزمك ماضٍ، إذا قدّرت شيئاً فرَبَّته وقَطَعته.

ثم البرء: هو الإيجاد، فإبراز هذا الذي قدّره من العدم إلى الوجود هو البرء.

والتصوير: تشكيل الموجودات على الصُّور المقدّرة.

إذا الخلق هو التقدير، ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَتَخْلُقُونَ أَفْكَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥]؛ أي تقدرون كذباً.

وقد اقترنت هذه الثلاثة: الخالق، والبارئ، والمصور، في قوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ

الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ﴾ [الحشر: ٢٤]، ويتّضح المعنى بمثال: لو تخيلت بناءً، المهندس ماذا يفعل

أولاً؟ يُقدّر ويخطّط؛ هذا التقدير هو الخلق؛ ثم بعد أن ينتهي من التخطيط يكلف العمال ببناء

الهيكل والأساسات، فتخرج هذه العمارة من العدم إلى الوجود؛ هذا البرء؛ ثم بعد ذلك يصبغ

البناء ويصوّره بالصورة المعينة التي يختلف بها عن باقي الأبنية؛ هذا التصوير.

والخلاق: صيغة مبالغة من الخالق، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر:

٨٦]، وقال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ

الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ﴾ [يس: ٨١].

فالله سبحانه وتعالى هو الخالق البارئ المصور، صوّر الإنسان أحسن صورة، وأحسن

كل شيء خلقه، ولو تفكّرت في صورتك وأن الله خلقك في أحسن تقويم وأجمل صورة؛ هذا

يجعلك تشعر بحياةٍ عظيم، وتحاسب نفسك كيف بعد ذلك لا أطيع الله تعالى وهو الذي خلقتني في أحسن صورة؟! ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار: ٦-٨]، وإذا نظرت في خلق الله تعالى وتصويره للكائنات؛ ينطق قلبك: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١]، ﴿هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ﴾ [لقمان: ١١].

قوله: «وَمَالِكُ الْمُلْكِ مَلِكٌ مَلِكُكَ»: الله سبحانه وتعالى هو مالك الملك، وهو الملك والمليك.

والفرق بين المالك والملِك: أن المَلِك: هو المتصرف في ملكه بفعله وأمره، وأمَّا المالك: فهو المتصرف بفعله، فالمَلِك أبلغ، فالله سبحانه وتعالى له التصرف المطلق؛ ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [المؤمنون: ٨٨]، وانظر إلى هذه الفطرة الصافية: سُئِلَ أعرابي له قطع من الإبل قيل له: لمن هذه؟ فقال الأعرابي: «الله في يدي»، ما أجمل أن تستشعر أن كل شيء في حياتك ملكٌ لله سبحانه وتعالى، قلبك ملك لله، عقلك ملك لله، عينك لله، سمعك لله، يدك، مالك، بيتك، أهلك، انظر إلى السماوات والأرض والكون من حولك، كل شيء ملكٌ لله جل وعلا؛ ﴿لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ﴾ [المائدة: ١٢٠]، والله سبحانه وتعالى خَصَّ سورة في كتابه لهذه الصفة: هي سورة الملك ﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [تبارك: ١]، وهذه السورة تربط القلوب بالله سبحانه وتعالى وملكه في كل ما تراه، ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [تبارك: ٣-٤]، يخضع القلب لعظمة ملكه وخلقِه، سموات عظيمة لا ترى فيها أي خلل، ملكٌ كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه؛ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَفَائِتٍ وَيَقْبِضْنَ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَنُ﴾ [الملك: ١٩]، حتى هذه الطير هي في ملك الله وقبضته تطير بقدره الله ورحمته، ﴿إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ بَصِيرٌ﴾ [الملك: ١٩]، لا تغيب عن الملك سبحانه وتعالى، ثم قال: ﴿أَمَّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ جُنْدٌ لَكُمْ يَنْصَرُّكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنَّ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي غُرُوبٍ﴾ [الملك: ٢٠]، القوة كلها لله، ﴿أَمَّنْ هَذَا

الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ» [الملك: ٢١]، الرزق كله من الله، ثم في آخرها يقول: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]، إذا كان هذا الماء غائرًا في باطن الأرض من يأتيك بالماء الذي يجري بسهولة على وجه الأرض حتى تعيش وتحيا.

وهذه الصفة تُبطل شرك عباد القبور، فالذي يدعو الأولياء في قبورهم يقول: أنا أعرف أن هذا النبي أو هذا الولي لا يملك شيئًا، لا يخلق ولا يرزق، لكن له منزلة عظيمة عند الله، فادعوه وأعظمه وأتقرب إليه حتى يكون قربة إلى الله سبحانه وتعالى، هكذا يقولون، سبحان الله!! هذا الذي قاله الله تعالى عن عقيدة المشركين: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾ [الزمر: ٣]، ﴿وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾ [يونس: ١٨]، وهذه الشبهة تُبطلها صفة الملك لله سبحانه وتعالى؛ قال الله سبحانه وتعالى في سورة سبأ، وهي أيضًا تقرّر موضوع الملك: ﴿قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]، انظر كيف تقطع هذه الآية وما بعدها عروق شجرة الشرك من القلب، ﴿لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٢٢]، هذا الملك الاستقلالي لا يملكون منه شيئًا، ﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكَ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ أيضًا ليس لهم شراكة مع الله سبحانه وتعالى، ﴿وَمَا لَهُ مِنْهُمْ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ أي ما لله منهم، ﴿مِنْ ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢]؛ لا يعاونون الله سبحانه وتعالى، بقي أن لهم حقًا على الله بالشفاعة؛ قال: ﴿وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٣]، فجعل الشفاعة كلها بإذنه سبحانه وتعالى، والملك كله لله، والأمر كله لله، فهو المعبود بحق سبحانه وتعالى، فالشفاعة ملك لله تعالى، إذا أردنا الشفاعة نقول: اللَّهُمَّ شَفِّعْ فِيْنَا نَبِيَّكَ، الأنبياء يشفعون، والصالحون يشفعون؛ لكنهم لا يملكون الشفاعة؛ ﴿قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزمر: ٤٤]، إبراهيم عليه الصلاة والسلام شَفِّعَ في أبيه فرُدَّتْ شفاعته، نوح عليه السلام شَفِّعَ في ابنه فرُدَّتْ شفاعته، بل في حديث الشفاعة نبينا صلى الله عليه وسلم يقول: «فِيْحُدُّ لِي حَدًّا، فَيُقَالُ:

أَخْرَجَ هَؤُلَاءِ، فَأَخْرَجُهُمْ»^(١)، حَتَّى شَفَاعَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هِيَ بِأَمْرِ مِنَ اللَّهِ، اللَّهُ أَمْرُهُ بِأَنْ يُخْرِجَهُمْ.

ومن التأملات الجميلة في اسم الله الملك: أن تستشعر أن كل شيء مُلْكٌ لله تعالى فلا تتصرّف في ملكه بما لا يريد، من أقبح الأمور: أن يتصرّف الإنسان في ملك غيره بما لا يريد، فعينك ملك لله، فلا يجوز لك أن تنظر إلى ما لا يحبّه الملك سبحانه وتعالى، أَدُنْكَ مَلِكٌ لله، فلا يجوز لك أن تستمع إلى ما يُسخط الملك سبحانه وتعالى، أَمَوَّلَكَ مَلِكٌ لله، فلا يجوز لك أن تجعلها في غير مصارفها الشرعية، انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد: ٧]، المال أنت لا تملكه مُلْكًا تامًّا، أنت مستخلف على المال، حَتَّى من أوتي شيئًا من التصرف؛ كان مديرًا مثلاً، عَمَّتْ إِدَارَتُهُ أَوْ خَصَّتْ؛ ينبغي أن يستشعر أن الملك كله لله، فالله عز وجل يتصرف فيه كما يشاء، فلا يجوز لك أن تتصرّف فيه بما لا يُرضي الله، ينبغي أن تكون مُحسنًا لرعيّتك، رحيماً بهؤلاء الذين ملّكَك الله أمرهم، ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمُلِكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [آل عمران: ٢٦].

قوله: «يَا قَيُّومُ قَدْ وَحَدْتُ لَكَ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: القَيُّوم، والقَيُّوم: صيغة مبالغة من القائم، فالقَيُّوم: الذي قام بنفسه فلم يحتاج إلى أحد، وقام به كل شيء، فكل ما سواه مفتقر إليه، فالله سبحانه وتعالى هو القَيُّوم، هو القائم على شؤون خلقه؛ على خلقهم، ورزقهم، وهدايتهم، ﴿أَقَمْنِ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ أي كمن لا يقوم على شيء ممّا يُعبد من دون الله سبحانه وتعالى، فالله سبحانه وتعالى قائمٌ على كل نفس؛ على خلقها، ورزقها، وحفظ أعمالها، ومُجَازَاتِهَا، ثم انظر كيف قال مبطلًا للشرك: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ﴾ [الرعد: ٣٣]؛ اذكروا أسماء هؤلاء الذين تعبّدون من دون الله، وقد علّمنا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول في كل صباح ومساءً: «يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ».

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٥٦٥)، ومسلم في «الصحيح» (١٩٣).

أَصْلَحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، وَلَا تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ»^(١)، ما أجمل أن تستشعر أن الله تعالى هو الذي يقوم بأمرك، ما وكل أمرك إلى غيره، بل هو الذي يحفظك ويرزقك ويتولى أمرك، هذا يبعث في قلبك الطمأنينة والإيمان، ولعل من المناسب: أن يُقرن إليه الكلام عن اسم الله سبحانه وتعالى: الْحَيُّ الذي ذكر في البيت الذي بعده؛ لاقتراحهما كما في آية الكرسي، الْحَيُّ الذي له الحياة الكاملة التي لم يسبقها عدم ولا يلحقها فناء، فاسم الله سبحانه وتعالى الْحَيُّ ترجع إليه كل الصفات الذاتية لله سبحانه وتعالى، هذان الاسمان: الْحَيُّ والقيوم ترجع إليهما الصفات.

فاسم الْحَيِّ ترجع إليه الأسماء الدالة على كمال الصفات الذاتية.

واسم القيوم ترجع إليه الأسماء الدالة على كمال الصفات الفعلية.

فهذان الاسمان مستلزمان لجميع صفات كماله سبحانه وتعالى، ولهما أثر عظيم على حياة القلب، كما ذكر ابن القيم؛ وذكر أن شيخ الإسلام ابن تيمية كان شديد اللّهُج بهما جداً، وقال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في «المدارج»: «وقال لي يوماً -أي شيخ الإسلام ابن تيمية-: لهذين الاسمين تأثير عظيم في حياة القلب»^(٢).

قوله: «الْوَاسِعُ الْكَبِيرُ وَالْمَجِيدُ الْحَيُّ وَالْعَظِيمُ وَالْحَمِيدُ»: من أسماء الله سبحانه وتعالى: «الْوَاسِعُ»، والواسع اسم لله تعالى يدل على اتساع صفاته وأفضاله وكثرتها، فهو الواسع في رحمته، هو الواسع في فضله، هو الواسع في قدرته، هو الواسع في علمه، هو الواسع في صفاته العُلا؛ ولذلك مهما عبدت الله وشكرته فلن تؤدّي ما يستحقه من التعظيم؛ لأنّه الواسع سبحانه وتعالى.

والإيمان باسم الله الواسع يطرد عنك كل ضيق وهم، فتعيش في سعة وراحة، إذا أذنب

(١) أخرجه النسائي في «السنن الكبرى» (١٠٣٣٠)، الحاكم في «المستدرک» (٢٠٠٠)، وحسن إسناده

الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٤٤٩/١).

(٢) ينظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٤٤٦/١).

العبد فلماذا ييأس من رُوح الله؟ والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣٢]، ويقول الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ﴾ [الأنعام: ١٤٧]؛ سبحان الله! حتى في الدعوة إلى الله إذا كُذِّبَ، إذا نصحت أحداً فأعرض عنك؛ فحدّثه عن رحمة الله، قل له: ربُّك ذو رحمةٍ واسعة، وسَّع عليه حتى يرجع ويُنِيب ويتوب؛ لكن أيضاً لا يَغْتَرَّ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ؛ ﴿فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٧]، ومهما كان حالُك، مهما ضاق عليك الأمر؛ فتذكّر سَعَةَ الله تعالى، مهما ضاق الرِّزْق، أو المال، أو الأهل، أو الولد، لم يتيسر المال، لم يتيسر الزواج، لم تتيسر الوظيفة، لم يتيسر العلاج، مهما كان الحال فأنت مغمورٌ في رحمة الله وفضله، ﴿أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ۖ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ۚ وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ [البلد: ٨-١٠]، انظر إلى ما وسَّع الله عليك، في «صحيح مسلم»: «أَنَّ رَجُلًا سَأَلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍو، فَقَالَ: أَلَسْنَا مِنْ فَقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ؟ فَقَالَ لَهُ عَبْدُ اللَّهِ: «أَلَا أَمْرَأَةٌ تَأْوِي إِلَيْهَا؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «أَلَا مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْأَغْنِيَاءِ»، قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا، قَالَ: «فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ»^(١)، تفكر في نعمة الله عليك.

وأسماء الله سبحانه وتعالى حُسْنَى، وتزداد حسناً بالاقتران؛ انظر إلى اقتران اسم الله الواسع بالعليم؛ ﴿وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، انظر إلى اقترانه بالحكيم؛ ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، العبد قد يأتيه الشيطان فيجعله يُسيءُ الظَّنَّ يقول: أنا ضَيِّقٌ عليّ، لم أجد كذا، ما أعطيت كذا، تذكّر أنّ الله تعالى هو الأعلم بما يصلح عباده، لا تدري لعلّ المال يكون فتنة لك، لعلّ بقاء هذه الزوجة مع الرجل يكون فيه شرٌّ، لذلك انظر إلى قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَتَفَرَّقَا يُغْنِ اللَّهُ كُلًّا مِنْ سَعَتِهِ وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعًا حَكِيمًا﴾ [النساء: ١٣٠]، فإذا وسَّع الله عليك؛ فهذا من علمه وحكمته، وإذا ضَيَّقَ عليك؛ فهذا أيضاً من علمه وحكمته.

ومن توسعة الله تعالى علينا: أن وسَّع علينا في ديننا؛ ﴿لَا يَكْلِفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]، خمس صلوات فقط في اليوم والليلة فكيف نتكاسل عنها؟! إذا لم تستطع أن

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٩٧٩).

تصليّ قائماً صليتَ قاعداً، فإن لم تستطع صليتَ على جنب، الصيام شهرٌ واحد في السنة، الحج يجب مرة واحدة في العمر، الزكاة مقدار قليل من المال، الواجب من النّقد: رُبع العشر. ومن السّعة: أن الله عز وجل وسّع علينا في أمور الدنيا، فوسّع دائرة الحلال، لماذا نعصي وقد وسّع الله أمر الحلال، اشرب ما تشاء؛ لكن لا تشرب الخمر التي تضرك وتذهب عقلك، كل ما تشاء؛ لكن لا تأكل ما حرّمه الله من الميتة والخنزير وما ذُبح لغير الله، وما فيه نابٌ أو مِخلَب، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، السّعة كلها في طاعة الله وفي الاستقامة، هي سعة في الدنيا، وانسراح في الصّدر، وهي سعة في القبر، والمؤمن يُفرّش له من الجنة، ويُفتح له بابٌ إلى الجنة يأتيه من رَوْحها وطيبها، ويُفسح له في قبره مدّ بصره، ثم أعظم سعة في الآخرة: في الجنة؛ ﴿وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الزخرف: ٧١].

من التّعبد لله باسمه الواسع: أن تسع الناس بخلقك، دخل أعرابيٌّ مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فصلى ثم قال: «اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي وَمُحَمَّدًا، وَلَا تَرْحَمْ مَعَنَا أَحَدًا»، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «لَقَدْ حَجَرْتَ وَاسِعًا»^(١)، والأعرابي لما بال في ناحية المسجد فأسرع إليه الناس، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «فَإِنَّمَا بُعِثْتُ مُيسِّرِينَ، وَلَمْ تُبْعَثُوا مُعَسِّرِينَ، صُبُّوا عَلَيْهِ سَجَلًا مِنْ مَاءٍ»^(٢).

ومن أسماء الله تعالى: «الكَبِيرُ» هو سبحانه أكبر من كل شيء؛ ذاتاً وصفاتٍ وأفعالاً، وجميل أن يُقرَن معه اسم العظيم كذلك، فهو الذي له من كل كمالٍ أعظمه، وهذان الاسمان يدلّان على توحيد الله، وأنّه المعبود الحقُّ، لا أحد أكبر من الله، لا أحد أعظم من الله؛ لذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم لعديّ بن حاتم رضي الله عنه قبل أن يسلم: «مَا يُفْرُكَ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. فَهَلْ تَعْلَمُ مِنْ إِلَهٍ سِوَى اللَّهِ؟». قَالَ: قُلْتُ: لَا. قَالَ: ثُمَّ تَكَلَّمَ سَاعَةً ثُمَّ قَالَ: «إِنَّمَا

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٠١٠).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٢٠).

تَفَرُّ أَنْ تَقُولَ: اللَّهُ أَكْبَرُ، هَلْ تَعْلَمُ شَيْئًا أَكْبَرَ مِنَ اللَّهِ؟ قَالَ: قُلْتُ: لَا^(١)، فأسلم عدي رضي الله عنه.

تفكر في هذا الكون الذي يدل على أن الله هو الكبير العظيم، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَا السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكُرْسِيِّ إِلَّا كَحَلْقَةٍ مُلْقَاةٍ فِي أَرْضٍ فَلَاةٍ»^(٢)، تخيل حلقة أُلقيت في صحراء واسعة، هذا الكون كله كالحلقة والكرسي الذي هو مخلوق من مخلوقات الله الذي هو موضع القدمين كما قال ابن عباس رضي الله عنهما كالصحراء، ثم قال النبي صلى الله عليه وسلم بعد ذلك: «وَفَضَّلَ الْعَرْشُ عَلَى الْكُرْسِيِّ كَفَضْلِ الْفَلَاةِ عَلَى الْحَلْقَةِ»^(٣)، العرش بالنسبة للكرسي كالصحراء بالنسبة للحلقة، فسبحان الله العظيم الكبير! ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «أُذِنَ لِي أَنْ أُحَدِّثَ عَنْ مَلِكٍ مِنْ مَلَائِكَةِ اللَّهِ مِنْ حَمَلَةِ الْعَرْشِ، إِنَّ مَا بَيْنَ شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِلَى عَاتِقِهِ مَسِيرَةُ سَبْعِ مِائَةٍ عَامٍ»^(٤)، وهذا الملك العظيم جبريل عليه السلام رآه النبي صلى الله عليه وسلم على صورته مرتين، وقال في وصفه: «لَهُ سِتُّ مِائَةِ جَنَاحٍ»^(٥)، ولما عُرج بالنبي صلى الله عليه وسلم رأى جبريل على حالٍ؛ قال: «مَرَزْتُ لَيْلَةً أُسْرِيَ بِي بِالْمَلَأِ الْأَعْلَى، فَإِذَا جِبْرِيلُ كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»^(٦) أي كالكيساء القديم، سبحانه ما قَدَرْنَاهُ حق قدره، قال تعالى: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [الشورى: ٤ - ٥]، السماوات تكاد أن تتشقق من عظمة الله سبحانه وتعالى، وهذه العظمة ينبغي أن تنعكس على واقعنا في عبادتنا، نبينا

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٩٥٣) وحسنه الألباني كما في «صحيح جامع الترمذي» (١٨٢ / ٣).

(٢) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٣٦١) وصححه الألباني بطرقه في «السلسلة الصحيحة» (١ / ٢٢٥).

(٣) أخرجه ابن حبان في «الصحيح» (٣٦١) وصححه الألباني بطرقه في «السلسلة الصحيحة» (١ / ٢٢٥).

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٧٢٧) وهو في «السلسلة الصحيحة» للألباني (١ / ٢٨٣).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٢٣٢)، ومسلم في «الصحيح» (١٧٤).

(٦) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٤٦٧٩) وهو في «السلسلة الصحيحة» للألباني (١ / ٢٢٥).

صلى الله عليه وسلم كان يصلي وفي صدره أزيزٌ كأزيزِ المِرْجَل من البكاء^(١)، وأبو بكر الصديق رضي الله عنه كان لا يملك دُمْعَةً إذا قام يصلي بين يدي الله^(٢)، وعليُّ بن الحسين زين العابدين كان إذا توضَّأ اصْفَرَ لَوْنُهُ، فقيل له: ما هذا الذي يعتريك عند الوضوء؟ فقال: «أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟»^(٣)، وقال بعض السلف: «ما صليت خلف خالد بن عبدالله الطحَّان إلا سمعت قَطْرَ دُمُوعِهِ عَلَى الْحَصِيرِ»^(٤)، والإمام مالك لما جاءه رجل فقال: الرحمن على العرش استوى، كيف استوى؟ قال الراوي: فما رأينا مالكا وجد من شيء كوجده من مقالته وعلاه الرخصاء وأطرق، وجعلنا ننتظر ما يأمر به فيه، قال: ثم سُريَّ عن مالك فقال: «الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة»^(٥)، تأمل كيف تَصَبَّبَ عَرَقًا من تعظيم الله سبحانه وتعالى؟! وهكذا المؤمن إذا ذكر عنده اسم الله سبحانه وتعالى يمتلئ قلبه بالتعظيم؛ ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۖ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ۖ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٢ - ٤]، فينبغي أن تنصِّبَ حياتنا كلها بتكبير الله وتعظيمه، وهذه حال المخلوقات؛ ﴿تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، وقد قال بعض السلف: «أما يستحي أحدكم أن تكون دابته التي يركب وثوبه الذي يلبس أكثر ذكرا لله

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٩٠٤) والنسائي في «المجتبى» (١٢١٤)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٥٨ / ٤).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٢٩٧)، ومسلم في «الصحيح» (٤١٨).

(٣) ينظر: «إحياء علوم الدين» للغزالي (١ / ١٥١)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٤١ / ٣٧٨).

(٤) ينظر: «سير أعلام النبلاء» للذهبي (٨ / ٢٧٩).

(٥) أخرجه الدارمي في «الرد على الجهمية» (ص ٦٦) واللالكائي في «شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة» (٣ / ٤٤١)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦ / ٣٢٥).

(١) منه .

قوله: «وَالْمَجِيدُ»: المجد في اللغة كلمة تدل على السَّعة، فالمجد بلوغ السَّعة والنهاية في الكمال، المجيد: هو الذي بلغ الغاية من العظمة والمجد والكرم، وإذا كان ربُّنا سبحانه وتعالى كذلك؛ فحريٌّ بنا أن نبذل كلَّ طاقتنا وكلَّ قُوانا في أن نمجِّده حقَّ تمجيدِهِ، وأن نعظِّمه حقَّ تعظيمِهِ، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الأنعام: ٩١]، وهذا قريبٌ من اسم الله العظيم، والكبير.

قوله: «وَالْحَمِيدُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الحميد، والحميد على وزن فاعيل، يأتي بمعنى: مفعول، ويأتي بمعنى: فاعل؛ يأتي بمعنى: مفعول؛ فيكون المعنى: المحمود الذي تحمده الخلائق، مثل ما يقال: فلان سجين؛ أي مسجون، والشیطان الرجيم؛ أي المرجوم، ويأتي أيضًا بمعنى: فاعل؛ فمعناه: الحامد الذي يحمِّد عباده المؤمنين، كما يُقال: سمیع: بمعنى: سامع، وقدير: بمعنى: قادر، وهو بهذا المعنى قريبٌ من اسم الله: الشاكر، والشَّكور، وهذان الاسمان سيأتي الكلام عنهما - إن شاء الله - في موضع متأخِّر من النِّظم.

المسلم حين يعيش مع اسم الله الحميد، يتفكر في نعم الله تعالى التي لا تُعدُّ ولا تُحصى؛ ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تَحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]، كان مجاهد يقول في النعمة الباطنة: «هي لا إله إلا الله»^(٢)، فهذه أعظم نعمة: أن أنعم الله عليك بالإسلام، ما فائدة أن يتمتَّع الإنسان في الدنيا بشهواتها وملذاتها ثم يكون مصيرُهُ إلى النار؟! لذلك أهل الجنة يحمدون الله تعالى على هذه النعمة؛ ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ثم أيضًا هَدَاكَ للإسلام الخاص: وهو السنة، وقد قال أبو العالية الرِّياحيُّ: «ما أدري أيَّ النِّعمتين عليَّ أفضل: أن هداني للإسلام، أو لم يجعلني

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٧٦٦٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤ / ٣٦٤).

(٢) أخرجه ابن جرير الطبري في «التفسير» (١٨ / ٥٦٧).

حروريًا»^(١) أي ما جعلني من الخوارج؛ بل هداي للسنة، وقد قيل للإمام أحمد: «من مات على الإسلام والسنة مات على خير»، فقال: «من مات على الإسلام والسنة مات على الخير كله»^(٢)، انظر إلى أحوال كثير من المنحرفين عن السنة؛ منهم من لا يدري أين ربُّه؟! نسأل الله العافية، يظن أن الله عز وجل ليس على العرش استوى، ومنهم من يحمل في قلبه الحقد والغِلَّ على أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم خير القرون الذين ما كان ولا يكون مثلهم، ومنهم من يثير الفتن في المجتمعات ويُكفر بغير حق من الخوارج نسأل الله تعالى العافية، وأنت هداك الله عز وجل للإسلام الخاص الذي هو السنة، ثم انظر كم هذه النعم التي نعيش فيها والله الحمد، جاء رجل يونس بن عبيد فشكا إليه ضيقًا من حاله ومعاشه واغتمامًا بذلك، فقال: أيسرُّك أن يكون لك ببصرِك مئة ألف درهم؟ قال: لا، قال: أيسرُّك أن يكون لك بسمُعِك مئة ألف درهم؟ قال: لا، قال: أيسرُّك أن يكون لك بيدِك مئة ألف درهم؟ قال: لا، قال: أرى عندك مِئينَ من الألوْف وأنت تشكو الحاجة»^(٣)، قال ابن القيم: «ليس على العبد أضرُّ من مَلَكِه لنعم الله سبحانه وتعالى»^(٤)، لا يشعر بالنعمة، تكون معتادة في حياته فيألفها وينسى شكر الله تعالى عليها، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْحَمَّادُونَ»^(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «أَفْضَلُ الدُّعَاءِ الْحَمْدُ لِلَّهِ»^(٦)، فنسأل الله تعالى أن يوفّقنا لحمده وشكره وحسن عبادته.



-
- (١) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٧/ ١١٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٤/ ١٢١).
- (٢) أخرجه ابن الجوزي في «مناقب الإمام أحمد» (ص ٢٤٨).
- (٣) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٦/ ٢٩٢).
- (٤) ينظر: «الفوائد» لابن القيم (ص ٢٦٣).
- (٥) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٥٤) وهو في «السلسلة الصحيحة» (٤/ ١١٢).
- (٦) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٣٨٣)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٢١).



قال الناظم:

سُبُّوحٌ يَأْقُدُّوسٌ طَيِّبٌ سَلَامٌ ٧ أَعْلَى عَلَيَّ فَوْقَ عَرْشٍ لَا يَنَامُ
وَالْمُتَعَالِي وَالْمُحِيطُ الظَّاهِرُ ٨ الْبَاطِنُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْآخِرُ
مُهَيَّمِنٌ وَهُوَ الشَّهِيدُ وَالرَّقِيبُ ٩ وَهُوَ الْعَلِيمُ وَالْخَبِيرُ وَالْقَرِيبُ
الْعَالِمُ السَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ ١٠ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْقَدِيرُ

قوله: «سُبُّوحٌ يَا قُدُّوسٌ طَيِّبٌ سَلَامٌ»: يقول الله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣]، وقال سبحانه عن الملائكة: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وكان نبينا صلى الله عليه وسلم يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(١) بضم السين والقاف، وفتحهما أيضًا، والضمُّ أكثر.

فالسَّلام: هو الذي سَلِمَ من كل نقص، وهو الذي يُسَلِّم عباده من الشرور، والسُّبُّوح والقُدُّوس: فيهما معنى التنزيه أيضًا، فالسُّبُّوح: المنزَّه عن النقائص، والقُدُّوس: المُطَهَّر عن كل ما لا يليق به، وهو سبحانه الطَّيِّب، فأسماءه كلها طيبة، وصفاته كلها طيبة، وأفعاله كلها طيبة لا نقص فيها؛ «إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»^(٢)، من خلال تفكيرك في هذه الأسماء

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح» (٤٨٧).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحیح» (١٠١٥).

يمكنك أن تتفكر في كل أسماء الله وصفاته، فكل صفة من صفاته سبحانه وتعالى سالمة منزّهة عن كل نقص وعيب، وكل أسمائه سبحانه وتعالى كاملة لا نقص فيها؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، فحياة الله تعالى سالمة من الموت، ومن أن يسبقها عدم؛ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان: ٥٨]، وقِيُومِيته سبحانه وتعالى سالمة من كل نقص؛ سالمة من السنّة والنوم، فالله تعالى هو القائم على خلقه وعلى مصالحهم؛ ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، كذلك علم الله تعالى لا يلحقه جهل ولا نسيان، فلا نقص فيه؛ ﴿قَالَ عَلِمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى﴾ [طه: ٥٢]، وقدرته سبحانه تعالى سالمة من العجز والضعف؛ ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٢٥]، وهكذا يمكنك أن تتفكر في جميع أسماء الله الحسنی وصفاته من خلال هذه الأسماء؛ السّلام، القدّوس، السُّبُّوح، الطّيب، وهذه الأسماء أيضًا تردّ على المشبّهة؛ فالله تعالى سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ سَلامٌ طَيِّبٌ منزّه عن كل نقص، ومن ذلك: مشابهة المخلوقات، فالله تعالى منزّه عن مشابهة المخلوقات؛ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، فهذه الأسماء تتضمّن تنزيه الله تعالى عن كل نقص، والتفكر فيها يفتح لك معاني عميقة في تسبيح الله تعالى في الأذكار الشرعية، مثلاً حين تقول: سبحان الله، سبحان ربي العظيم، سبحان ربي الأعلى؛ تستشعر كمال الله تعالى في ربوبيّته، سبحان الله، فلا نقص في ربوبيّته، له الملك كلّ، لا نقص في ملكه، بيده ملكوت كل شيء، له التدبير، لا نقص في تدبيره، ﴿يُدَبِّرُ الْأُمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ﴾ [السجدة: ٥]، له الخلق، لا نقص في ما خلق؛ ﴿مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ﴾ [الملك: ٣]، ﴿الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [طه: ٥٠]، في رزقه؛ لا نقص في رزقه سبحانه وتعالى، ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وكذلك في الألوهية؛ فلا يستحق أحد أن يُعبَد إلا الله، وأسماءه وصفاته لا نقص فيها، وشرعه لا نقص فيه، وقضاؤه وقدره كله حكمة ومصلحة.

ومن التّعبد لله باسمه الطّيب: أن نحرص على أن نُطَيِّب قلوبنا وأعمالنا لله؛ لأنّ الله تعالى

طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وأعظم ما تَطَيَّب به القلوب: تحقيق الكلمة الطيبة: كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥]، فإذا رسخت في القلب جذور شجرة التوحيد؛ أثمرت وآتت أكلها من الأعمال الصالحة والأخلاق الحسنة.

قوله: «أَعْلَى عَلَيَّ فَوْقَ عَرْشِي لَا يَنَامُ وَالْمُتَعَالِي»: من أسماء الله تعالى: الأعلى، والعَلِيِّ، والمتعالي، وهو الذي له علو الذات، وعلو الصفات، قال تعالى: ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١]، وقال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ [الرعد: ٩].

أدلة إثبات العلو لله تعالى وأنه فوق العرش أكثر من ألف دليل كما يقول ابن القيم -رحمه الله تعالى-، وجاء إثباتها بأدلة متنوعة كثيرة:

منها: التصريح بالعلو كما في الأدلة السابقة.

ومنها: التصريح بالفوقية؛ ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [الرعد: ٥٠]، ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٨].

ومنها: التصريح بنزول الأشياء منه تعالى؛ ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾ [القدر: ١]، ﴿تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الزمر: ١]، ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [فصلت: ٢].

ومنها: التصريح بصفة النزول؛ «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ»^(١).

ومنها: التصريح بعروج الأشياء إليه وصعودها؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، كذلك ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾ [السجدة: ٥]،

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١١٤٥)، ومسلم في «الصحيح» (٧٥٨).

إذا ذكرت الله تعالى وقلت: سبحان الله، الحمد لله، لا إله إلا الله، الله أكبر؛ هذه الكلمات تصعد إلى الله سبحانه وتعالى في علوه، صلاتك تصعد إلى الله، هذا المجلس الذي نذكر الله تعالى فيه يصعد إلى الله تعالى نسأل الله من واسع فضله.

ومنها: التصريح بأن الله تعالى في السماء، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ فِي السَّمَاءِ أَنْ يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضُ﴾ [الملك: ١٦]؛ أي في العلو، فكل ما علاك فهو سماء، أو إذا كانت السماء بمعنى السماء المبنية؛ فتكون «في» بمعنى: على؛ أي فوق السماء المبنية، كما قال تعالى: ﴿وَلَا صَلْبَبَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّحْلِ﴾ [طه: ٧١]؛ أي عليها.

وهذه عقيدة الصحابة والسلف ومن بعدهم، صحَّ عن الإمام الأوزاعي - رحمه الله تعالى - أنه قال: «كُنَّا وَالتَّابِعُونَ مُتَوَافِرُونَ نقول: إِنَّ اللَّهَ فَوْقَ عَرْشِهِ، ونؤمن بما ورد من صفاته»^(١)، وهي أيضًا مقتضى الفطرة: أبو جعفر الهمداني لما سمع أبا المعالي الجويني يقول: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَيْسَ عَلَى الْعَرْشِ، وَلَيْسَ فِي الْعُلُوِّ، قَالَ لِأَبِي الْمَعَالِي الْجَوِينِي: يَا أَسْتَاذَ، دَعْنَا مِمَّا تَقُولُ وَخَبَرْنَا عَنْ هَذِهِ الضَّرُورَةِ الَّتِي نَجِدُهَا فِي نَفُوسِنَا؛ فَمَا قَالَ عَارِفٌ قَطُّ: يَا اللَّهَ، إِلَّا وَجَدَ فِي قَلْبِهِ ضَرُورَةً إِلَى طَلَبِ الْعُلُوِّ»^(٢)، فجعل الجويني يضرب على رأسه ويقول: حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِي حَيَّرَنِي الْهَمْدَانِي، ثم رجع في آخر عمره إلى إثبات العلو كما في ترجمته.

والعقل السليم يثبت أن الله تعالى فوق كل المخلوقات؛ لأنَّ علو الله تعالى على خلقه هو اللائق بكماله، فاللائق بكماله سبحانه أن يكون في أحسن جهة في جهة العلو لا في جهة السفلى. وقد ذكر ابن القيم من أنواع الأدلة الدالة على علو الله تعالى ثمانية عشر نوعًا، تحت كل نوع عشرات الأدلة، ذكره في «الإعلام»^(٣)، وذكر واحدًا وعشرين نوعًا في «النونية»^(٤) وقال:

(١) أخرجه البيهقي في «الأسماء والصفات» (٨٦٥).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣/ ٢٢٠).

(٣) ينظر: «إعلام الموقعين» لابن القيم (٣/ ٢٠٥).

(٤) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٢/ ٣٠٧).

يَا قَوْمَنَا وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِنَا عَقْلًا وَنَقْلًا مَعَ صَرِيحِ الْفِطْرَةِ أَلْأَفَّا تَدُلُّ عَلَيْهِ بَلْ أَلْفَانِ
كُلُّ يَدُلُّ بِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَلْأُولَى وَذَوْقِ حَلَاوَةِ الْقُرْآنِ
أَتَرُونَ أَنَّا تَارِكُو ذَا كُلِّهِ فَوْقَ السَّمَاءِ مُبَايِنُ الْأَكْوَانِ
يَا قَوْمِ مَا أَنْتُمْ عَلَى شَيْءٍ إِلَى لَجَعَا جَعِ التَّعْطِيلِ وَالْهَذْيَانِ
وَتَحَكُّمُوهُ فِي الْجَلِيلِ وَدَقِّهِ أَنْ تَرْجِعُوا لِلْوَحْيِ بِالْإِذْعَانِ
تَحْكِيمَ تَسْلِيمٍ مَعَ الرِّضْوَانِ

وهذه المسألة ليست مسألة كلامية لا فائدة منها كما قد يُظنُّ؛ بل هي عقيدة عظيمة تؤثر في عبادتك، إذا استشعرت في دعائك وفي صلاتك وفي جميع عباداتك أنك تدعو وتعبد ملكاً عظيماً، قد استوى على عرشه، وأوامره تنزل من عنده إلى خلقه، وتصعد إليه أعمال العباد، وهو سبحانه تعالى في العلو المطلق؛ هذا يجعلك تشعر في قلبك بخوفٍ من الله، وهيبةٍ عظيمة له، فهذه عقيدة عظيمة تؤثر على عملك.

ومن معاني العلو: علو الصفات، فالله تعالى هو العلي في كل صفاته، ويمكن أن تتفكر في جميع الصفات من اسم الله: الأعلى، العلي، المتعالي، فعلمه أعلى علم، وقدرته أعلى قدرة، ورحمته أعلى رحمة، وهكذا كل صفات الله لا منتهى لها في معانيها، هي أعلى الصفات، وقهره أعلى قهر؛ لأنَّ من معاني العلو: علو القهر، وسيأتي الكلام عنه -إن شاء الله تعالى- في أسماء الله: القاهر، والقهار، فالعلو علو ذات، وعلو صفات، وبعضهم يجعل القسمة ثلاثية؛ يقول: علو الذات، وعلو القدر والمكانة، وعلو القهر.

قال ابن القيم في النونية:

وَلَهُ الْعُلُوُّ مِنَ الْوُجُوهِ جَمِيعِهَا ذَاتًا وَقَهْرًا مَعَ عُلُوِّ الشَّانِ

قوله: «والمُحِيطُ الظَّاهِرُ الْبَاطِنُ الْأَوَّلُ وَهُوَ الْآخِرُ»: من أسماء الله تعالى: المحيط، فالله تعالى محيطٌ بكل شيء؛ ﴿وَاللَّهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ﴾ [البروج: ٢٠]، لا يغيب عنه شيء، ولا يفوته شيء، فهو الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، وخير تفسير لهذه الأسماء الأربعة:

تفسير النبي صلى الله عليه وسلم كما في «صحيح مسلم» حين قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١)، كل شيء تراه له بداية فالله تعالى هو الذي خلقه، أمّا الله تعالى فهو الأول الذي ليس قبله شيء، وكل ما تراه فإنّه لا يبقى، والله تعالى هو الآخر الذي ليس بعده شيء؛ ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۖ وَيَبْقَىٰ وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦-٢٧]، وهذه إحاطة زمانية، واليقين بهذا يُذهب الوسوس الشيطانية، في «سنن أبي داود» أن أبا زُمَيْل واسمُه: سماك بن الوليد الحنفي قال: «سَأَلْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ فَقُلْتُ: مَا شَيْءٌ أَجِدُهُ فِي صَدْرِي؟ قَالَ: مَا هُوَ؟ قُلْتُ: وَاللَّهِ مَا أَتَكَلَّمُ بِهِ، فَقَالَ لِي: «أَشَيْءٌ مِنْ شَكٍّ؟» وَضَحِكَ، مَا نَجَا مِنْ ذَلِكَ أَحَدٌ حَتَّى أَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾ الآية، فَقَالَ لِي: إِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ شَيْئًا فَقُلْ: ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣]»^(٢)، فعالج هذه الوسوس بأسماء الله تعالى: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن، بمعنى: الأعلى، كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ»^(٣)، وهذا الذي مرّ آنفًا، والباطن: بمعنى: القريب المُجيب المُحيط العليم السميع البصير، لأن معنى الباطن: أنه أقرب إلى كل شيء من كل شيء، وهذه الأسماء التي ستأتي بعد هذا الاسم إن شاء الله تعالى.

انظر إلى هذه الأسماء الأربعة: الأول والآخر: هذه إحاطة زمانية، والظاهر والباطن: هذه إحاطة مكانية، فالله تعالى هو الظاهر الذي ليس فوقه شيء، على عرشه استوى، إذا اعتقدت ذلك صَمَدَ قلبك إلى الله تعالى وتعلّق به سبحانه، وهو الباطن الذي ليس دونه شيء، هو أقرب إليك من كل شيء، فهو الذي يراك ويسمعك، أقرب إليك من نفسك، فهذا يحملك على أن

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٧١٣).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥١١٠) وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/٢٦٩).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٧١٣).

تخشى الله وتراقبه دائماً، وبذلك يفتقر العبد افتقاراً عظيماً إلى الله تعالى في كل حال، وفي كل زمان، وفي كل مكان، بتعبه هذه الأسماء: الأول، والآخر، والظاهر، والباطن.

قوله: «مُهَيِّمٌ وَهُوَ الشَّهِيدُ وَالرَّقِيبُ وَهُوَ الْعَلِيمُ وَالْخَيْرُ وَالْقَرِيبُ الْعَالِمُ السَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ»

قوله: «مُهَيِّمٌ»: المهيم: من الهيمنة؛ وهي الحفظ، فالمهيم هو الرقيب على خلقه، الحافظ لأعمالهم، الذي لا يغيب عنه شيء من أحوالهم.

قوله: «الشَّهِيدُ»: الشهيد: الذي يشاهد كل شيء ويعلمه، فهو الحاضر الذي لا يغيب.

قوله: «وَالرَّقِيبُ»: الرقيب: المراقب الذي لا يغيب عن علمه شيء.

قوله: «الْعَلِيمُ»: العليم: الذي أحاط علمه بكل شيء.

قوله: «وَالْخَيْرُ»: الخير: العليم بالبواطن، لأن الخبرة هي العلم ببواطن الأشياء.

قوله: «وَالْقَرِيبُ»: القريب: يعلم أحوال عباده، يجيب دعاء الداعين، فهو قريب في علوه سبحانه وتعالى، علي في دنوه.

قوله: «الْعَالِمُ»: العالم: الموصوف بالعلم.

قوله: «السَّمِيعُ»: الذي أحاط سمعه بكل الأصوات، فمعنى السمع: إدراك

المسموعات، ويأتي أيضاً بمعنى القبول والإجابة؛ كما في قوله صلى الله عليه وسلم: «اللَّهُمَّ

إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لَا يُسْمَعُ»^(١)؛ أي لا يستجاب له، وكذلك في

قولك في الصلاة: سمع الله لمن حمده؛ الفعل هنا «سَمِعَ» لم يتعد بنفسه مع أن الأصل: أن

الفعل سمع يتعدى بنفسه؛ ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ﴾ [المجادلة: ١]، لكن هنا في قول المصلي:

سمع الله لمن حمده لم يتعد بنفسه، بل تعدى باللام، وعلة ذلك: أنه ضَمَّنَ معنى: «استجاب»،

والفعل «استجاب» يتعدى باللام؛ ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ﴾ [آل عمران: ١٩٥]، فكذا هنا

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٥٤٥٧)، والترمذي في «الجامع» (٣٤٨٢) وصححه الألباني في

«صحيح سنن النسائي» (٣/ ١١٢٥).

الفعل «سمع» لما ضُمِّن معنى الفعل «استجاب» تعدَّى تعدَّيته، فعُدِّي هنا سمع باللام.

قوله: «والبصير»: البصير: الذي أحاط بصره بكل المُبَصَّرات، كما أن السَّمْع: إدراك المسموعات، فالبصر: إدراك المُبَصَّرات، ويأتي البصير بمعنى: العالم بخفِّيات الأمور.

والمتمتِّف بهذه الصفات العظيمة: المهيمن، الشهيد، الرقيب، العليم، الخبير، القريب، العالم، السميع، البصير، هو المستحق للعبادة، انظر كيف دَعَا إبراهيم عليه السلام أباهُ إلى عبادة الله وحده بهذه الصفات؛ قال الله تعالى: ﴿وَادْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ٤١﴾ [مريم: ٤١ - ٤٢]، هذا الصنم الذي لا يسمع ولا يبصر كيف تدعوه؟ كيف تعبده؟ ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ١٩٤﴾ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُوا فَلَا تُنْظَرُونَ ١٩٥﴾ [الأعراف: ١٩٤ - ١٩٥]، وقال الله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، هذا الذي لا يسمع كيف يُعبد؟! فالذي لا يسمع لا يستحق أن يُعبد ﴿أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه: ٨٩].

وهذه الأسماء الحسنى لها أثرٌ عظيم في عبودية المسلم لله تعالى؛ فإنَّها توصل إلى كمال العبودية، تقول لنفسك: الله يسمعني ويراني، ويعلم ما في قلبي؛ فهذا يحملك على الاجتهاد في الطاعة، وعلى إحسانها، إذا قلت: الله أكبر في صلاتك فأنت تستشعر أن الله تعالى يسمع كلامك، يسمع هذه الكلمة، ويعلم ما قام في قلبك من تكبيره وتعظيمه، هل قلتها صادقاً، وإذا رفعت يديك مستسلماً له يعلم ما في قلبك وأنت ترفع يديك، وإذا قلت: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ يُجيبك الله تعالى يقول: حمدني عبدي، فتستشعر أن الله يسمع كل كلمة تقولها، فتُناجيه مناجاة العبد الخاضع المحب المشتاق للقاء ربه، يقول الله تعالى: «حَمْدَنِي عَبْدِي» «أَتْنِي عَلَيَّ عَبْدِي» «مَجَّدَنِي عَبْدِي»^(١)، وأنت في صلاتك تُناجيه، ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ٢١٨﴾ وَتَقْلُبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ٢١٩ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ٢٢٠﴾ [الشعراء: ٢١٨ - ٢٢٠]، وكذلك إذا قرأت

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٣٩٥) في حديث طويل.

القرآن؛ ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ﴾ [يونس: ٦١]، من أول دخولك في القراءة تستشعر قرب الله تعالى منك، وقد قال بعض السلف: «يا نفس اقرئي القرآن وكأَنَّكَ سمعته من الله تعالى حين تكلم به»، يقول: «لما قلت لنفسي هذا جاءت الحلاوة»، ولا يزال العبد يستشعر أن الله تعالى قريب منه، وأنه يسمعه ويراه، وأنه مهيمٌ عليه، رقيبٌ شهيدٌ؛ حتى تتوطن نفسه على القرب من الله تعالى، فيصل بذلك إلى مقام الإحسان؛ «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ»^(١)؛ ثم إن التفكر في هذه الأسماء الحسنى فيه أعظم ما يزرع العبد عن المعصية، ما تقلب ورقة من أوراق المصحف إلا وجدت فيها هذا الواعظ الأكبر والزاجر الأعظم الذي يدل على أن الله تعالى معك بعلمه، وسمعه، وبصره، وأنه يراقبك، ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق: ١٦]، ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة: ٧]، راود رجل امرأة عن نفسها وهو في الصحراء فأبَتْ، فقال لها: لا يرانا إلا الكواكب، قالت: «فأين مكوكبها؟!»، ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى﴾ [العلق: ١٤]، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يعش بالليل، فاستوقفه حديث أم مع ابنتها؛ كانت الأم تقول: هاتي اللبن فلنخلطه بالماء، فقالت البنت: إن أمير المؤمنين عمر نهي عن ذلك، فقالت الأم: إن أمير المؤمنين لا يرانا، فقالت البنت: إذا كان عمر لا يرانا فربُّ عمر يرانا، وعمر رضي الله عنه يسمع ذلك كله، فرجع إلى بيته وأوصى ابنه عاصمًا أن يتزوج هذه البنت، فتزوج هذه البنت وكان من ذريتهما: عمر بن عبدالعزيز الخليفة الزاهد رحمه الله تعالى^(٣)، وعمر بن عبدالعزيز حين جيء له مرةً بخراج أموال وكان فيها طيبٌ، أمسك بيده

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٠)، ومسلم في «الصحيح» (٨).

(٢) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (٢/ ٢٦٥).

(٣) ينظر: «سيرة عمر بن عبدالعزيز» لابن عبدالحكم (ص ٢٣)، و«تاريخ دمشق» لابن عساكر (٧٠/).

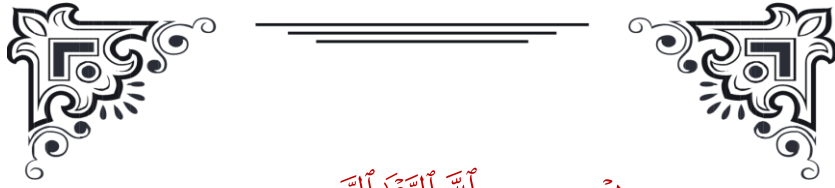
على أنفه، فقليل له: رحمك الله، كيف تمسك على أنفك وهذا طيب، فقال عمر بن عبدالعزيز -رحمه الله تعالى-: «إِنَّمَا يُتَنَفَّعُ بِرِيحِهِ»^(١) يعني أن هذا المال ليس لي، وإذا شِمِمْتُ رائحته فكأنِّي استعملته، لأن منفعة الطَّيِّب في ريحه، فانظر إلى مراقبته لله سبحانه وتعالى، قال بعض السلف: «صَحِبَتِ الرَّبِيعُ بْنُ خُثَيْمٍ عَشْرِينَ سَنَةً فَمَا سَمِعَتْ مِنْهُ كَلِمَةً لَا تَصْعَدُ إِلَى اللَّهِ»^(٢)، أي ما سمع منه إلا الكلام الطيب؛ ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، سبحانه الله، بهذه المراقبة يصل العبد إلى الإحسان في عبادة الله تعالى.



(٢٥٣)، و«صفة الصفوة» لابن الجوزي (١/ ٤١٠).

(١) ينظر: «قوت القلوب في معاملة المحبوب» (٢/ ٤٦٠).

(٢) ينظر: «سير أعلام النبلاء» (٤/ ٢٥٩).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الناظم:

العَالِمُ السَّمِيعُ وَالْبَصِيرُ ١٠ الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْقَدِيرُ
وَهُوَ الْحَكِيمُ الْمُحْسِنُ الْجَبَّارُ ١١ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْقَهَّارُ
هُوَ الْمَتِينُ الْمُتَكَبِّرُ الْقَوِي ١٢ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْجَمِيلُ وَالْحَيُّ



قوله: «الْقَادِرُ الْمُقْتَدِرُ الْقَدِيرُ»: هذه من أسماء الله تعالى الحسنى، فالله سبحانه وتعالى له القدرة التامة فلا يُعجزه شيء، والقدرة إذا كانت قدرةً كاملة تامة فهي القوة، فالقوة: تمام القدرة، وتمام القوة: المتانة، فالله تعالى من أسمائه كذلك: القوي المتين، فلعل من المناسب أن نتفكر هنا في اسمي الله القوي المتين مع القادر والمقتدر والقدير، ولك أن تعجب من تفسير ابن عباس رضي الله عنهما لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]. قال ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية: «الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير»^(١)، قد يُقال: كل مسلم يعلم أن الله على كل شيء قدير، لكن حقاً الذي يوقن أن الله على كل شيء قدير يصل إلى أعلى مراتب الخشية، وكفى بخشية الله علماً.

هذه الأسماء: القادر، المقتدر، القدير، القوي، المتين: أسماء عظيمة ترجع إلى كمال قدرة الله تعالى، وقد أخبرنا الله تعالى في كتابه أنه إنما خلق الخلق وأنزل الشرائع حتى نتعرف

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٩ / ٣٦٤).

على كمال قدرته تعالى، وعلى كمال علمه؛ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، هذا الخلق، ثم ذكر الشرع ﴿يَنْزِلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق: ١٢]، لماذا؟ ﴿لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق: ١٢]، فهذه الأسماء تدل على أن الله تعالى هو وحده المستحق للعبادة، المعبود الحق: هو القادر، المقتدر، القدير، القوي، المتين؛ فكيف يُذهب إلى الأموات الذين لا يملكون لأنفسهم نفعا ولا ضررا، ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا، يقول الله تعالى: ﴿إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، لماذا لا يستجيبون؟ لأنهم لا قدرة لهم، وتأمل في كلمة التوحيد كيف خُتمت باسم الله القدير؛ «لا إله إلا الله وحده ولا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير» فالقدير: هو المستحق للعبادة.

تأمل.. لما قرّر الله تعالى توحيدَهُ وبطلان ما ادّعاه النَّصارى من أن المسيح ابن الله قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [المائدة: ١٧]، فالله تعالى هو المعبود الحق لأنه على كل شيء قدير.

وترى قدرة الله تعالى في كل شيء؛ ترى قدرة الله في المخلوقات: في السماوات والأرض وما بينهما من أصناف المخلوقات، ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨]، أي من تعب؛ لكمال قدرته سبحانه وتعالى، وترى قدرة الله في نفسك؛ خلّقتك من نطفة، ثم من علقّة، ثم من مضغة، ثم أنشأك عظاما، ثم كسا العظام لحما، ثم نقلك أطوارا حتى جعلك رجلا سويا، كنت طفلا صغيرا، ثم أصبحت شابا قويا، ثم ترجع إلى الضعف والشيب؛ ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ﴾ [الروم: ٥٤]، ترى قدرة الله في رزقك الذي يسوقه إليك بقدرته وقوته؛ ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٨]، وانظر إلى قوله تعالى في قصة صاحب الجنتين؛ قال سبحانه عن صاحبه الذي يعظّمه ويذكّره: ﴿وَلَوْلَا

إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ { [الكهف: ٣٩] كُلُّ مَا أَنْعَمَ اللَّهُ بِهِ عَلَيْكَ مِنْ رِزْقٍ فَهُوَ بِقُدْرَتِهِ وَقُوَّتِهِ، هذا الأمن الذي تعيشه هو بقدرته الله وقوّته {قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبَسَكُمْ شِيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ} [الأنعام: ٦٥].

وفي الإيمان بقدرته الله وقوّته زاجرٌ عظيم عن المعصية، إذا أيقنت أنك تحت قدرته فكيف تعصيه؟! ﴿أَيَحْسَبُ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾ [البلد: ٥]، قال بعضهم: «خَفِ اللَّهَ عَلَى قُدْرَتِهِ عَلَيْكَ»^(١) أي على قدر قدرته عليك.

وفي المقابل هذه الأسماء: القادر، المقتدر، القدير، القوي، المتين، تجعلك مسارعاً إلى طاعة الله تعالى، انظر في قوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ وَيَأْتِ بِآخَرِينَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى ذَلِكَ قَدِيرًا﴾ [النساء: ١٣٣]، إذا لم تُقبل على طاعته وعبادته فالله تعالى قادر على أن يذهب بنا، ويأتي بآخرين يطيعونه ويطيعون دينه.

وهذه الأسماء تبعث في القلوب البشرَ والرّجاء في النصر والتمكين؛ ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [المجادلة: ٢١]، إذا أردنا أن يُمدّنا الله بقوّته ونصره؛ فعلينا أن نرجع للدين؛ ﴿إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وعلينا أن نحقق العبوديّة في أنفسنا، وفي بيوتنا ومجتمعاتنا بالحكمة، والكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة.

ثم اجعل بضميمة المعنى السابق لصفة القدرة معنى آخر جليلاً هو التقدير لكل ما يكون، فاسم الله القادر يدل على قدرته، ويدل على أنّه المقدّر لكل ما يكون، وللإمام أحمد كلمة عظيمة في معنى القدر؛ قال: «الْقَدَرُ قُدْرَةُ اللَّهِ»^(٢)، قال ابن القيم -رحمه الله تعالى- في «النونية»^(٣):

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «هواتف الجنان» (ص ٣٨).

(٢) أخرجه أبو بكر الخلال في «السنة» (٣/ ٥٤٤)، وابن بطة في «الإبانة الكبرى» (٤/ ٢٦٢).

(٣) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (١/ ١٨٤).

فَحَقِيقَةُ الْقَدَرِ الَّذِي حَارَ الْوَرَى فِي شَأْنِهِ هُوَ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
وَاسْتَحْسَنَ ابْنُ عَقِيلٍ ذَا مِنْ أَحْمَدٍ لَمَّا حَكَاهُ عَنِ الرُّضَا الرَّبَّانِي
قَالَ: الْإِمَامُ شَفَا الْقُلُوبَ بِلَفْظِهِ ذَاتِ اخْتِصَارٍ وَهِيَ ذَاتُ بَيَانٍ

ووجه ذلك: أَنَّ الإيمان بالقدر معناه: أن تؤمن بأربعة أشياء هي مراتبه وهي العلم والكتابة والمشية والخلق، وهذه الأربعة كلها راجعة إلى قدرة الله، فالقدر في الحقيقة بمراتبه الأربعة من قدرة الله تعالى، لا يخرج عن قدرته ومشيته شيء، والتفكر في القدر وفق ما دلَّ عليه الشرع يوصل المسلم إلى اليقين بقدرة الله، وإلى تعظيمه سبحانه وتعالى، أنت الآن تجد نفسك قادرًا على أن تفعل ما تشاء، تستطيع أن تقوم، تستطيع أن تجلس، ومع ذلك لو فعلت ما فعلت فلن تخرج أبدًا عما كتبه الله وقدره في الأزل، أي لو أنك الآن قمت؛ فهذا مكتوبٌ عليك، ولو أنك جلست؛ فهذا مكتوب عليك، هذا كله من القدر السابق، سبحان الله!! أنت لن تختار شيئًا الآن إلا الذي كُتب لك في الأزل، وهذا يزيدك يقينًا بقدرة الله تعالى.

والذي يؤمن بأن الله على كل شيء قدير، ويؤمن بقدر الله؛ يسلم قلبه من التسخط والجزع، من كان تحت قدرة الله يجري عليه ما قدره الله، لا يتسخط، ولا يجزع، وقد كان السلف يُعظِّمون أمر التسخط والجزع؛ يقول ابن مسعود رضي الله عنه: «لأن أعص على جمرة حتى تبرد أحب إلي من أن أقول لشيء قضاءه الله تعالى ليت له لم يكن»^(١)؛ لأن هذا اعتراض على قدر الله، وغفلة عن مدلول اسم الله القادر، المقتدر، القدير، وسمع هذه الكلمة العجيبة من بعض السلف؛ يقول: «من أصيب بمصيبة فمزق ثوبًا، أو ضرب صدرًا؛ فكأنما أخذ رمحًا يريد أن يقاتل به ربه عز وجل»^(٢) سبحان الله! الذي يصرخ عند المصيبة، ويغضب إذا قدر ما لا يلائمه؛ هذا معترض على قدر الله، فكأنه يحارب ربه، نسأل الله العافية، هوّن عليك، مهما فعلت فأنت تحت قدرته، فاطمئن وارض، ﴿وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ﴾ [التغلبين: ١١].

(١) أخرجه أبو داود في «الزهد» (ص ١٣٧).

(٢) ينظر: «إحياء علوم الدين» (٤ / ١٣٣).

ثم الإيمان بأن الله على كل شيء قدير يجعل العبد على رجاءٍ عظيم بالله، كل شيء تحت قدرة الله، إذا أردت أي شيء من المطلوبات فاسأل ربك، الواحد منا لو تفكّر في نفسه لا يرى إلا الضعف والتقصير في حق الله تعالى والغفلة، لكن الله على كل شيء قدير، إذا كنت تريد أن يفتح الله لك في العلم النافع؛ فالله على كل شيء قدير، سل ربك، إذا أردت الخشوع التام في صلاتك؛ فالله على كل شيء قدير، إذا أردت أن تعبد الله كأنك تراه؛ فالله على كل شيء قدير، إذا أردت الفردوس الأعلى من الجنة؛ فالله على كل شيء قدير، لا تستعظم شيئاً؛ الله على كل شيء قدير، وحقاً العلماء هم كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الذين يعلمون أن الله على كل شيء قدير»^(١).

قوله: «وَهُوَ الْحَكِيمُ»: من أسمائه تعالى: الحكيم، واسم الله تعالى الحكيم يدلُّ على اتّصافه سبحانه وتعالى بالحكمة، والحكمة: وضع الشيء في موضعه اللائق به، وكذلك يدلُّ على اتّصافه بالإحكام والإتقان، فهو الذي أحكم كل شيء وأتقنه، وكذلك يدلُّ على اتّصافه بالحكم، فإليه سبحانه وتعالى الحكم، وانظر في قصة موسى -عليه السلام- مع الخضر حين خرق السفينة، هذا في الظاهر شرٌّ، لكن لما عرفت الحكمة تبين أنه خير، لو لم يخرقها لغصبت؛ ﴿وَأَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف: ٧٩]، ثم قتل الغلام، وهذا أيضاً في الظاهر شرٌّ، لكن لما انكشفت الحكمة علم أن قتل الغلام خير، الغلام لو عاش لحمل والديه على الطغيان والكفر، ﴿وَأَمَّا الْغُلَامُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَنْ يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠]، والله سبحانه وتعالى يرزقهما بعده خيراً منه؛ ﴿فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِنْهُ زَكَاءً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]، وكذلك لما أصلح الجدار لأولئك الذين لم يؤدوا حق الضيافة، وكان من حكمة ذلك أنه لو لم يصلحه لانكشف مال اليتيمين وتعرّض للضياع؛ ﴿وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا

(١) أخرجه الطبري في «التفسير» (١٩ / ٣٦٤).

وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ﴾ [الكهف: ٨٢]، لما انكشفت الحكمة لموسى عليه السلام سلم، فالموقن بحكمة الله، العالم بأسمائه وصفاته، المتعبد لله تعالى بها تنزل الدواهي التي تطيش لها العقول وتراه لا يحلُّ حبوته؛ لأنه يعلم ويوقن بحكمة الله تعالى، يطمئن قلبه، يُسلم أمره كله لله، والقرآن كله حكمة؛ ﴿يس ١﴾ وَالْقُرْآنُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾ [يس: ١-٢]، والشرع كله حكمة، لو تفكرت في الشرع تجده كله حكمةً وجمالاً ورحمةً ومصلحةً للعباد، كما قال بعضهم: «يَا لَهُ مِنْ دِينٍ لَوْ كَانَ لَهُ رَجَالٌ»؛ أي رجال يقومون به.

وقد جاء الشرع بحفظ الدين، والنفس، والعقل، والعرض، والمال، وهذه الخمس هي الضروريات التي تختل الحياة باختلال واحدٍ منها.

انظر إلى العبادات؛ لو اجتمع الناس جميعاً ليخترعوا حركاتٍ وأقوالاً فيها تعظيم الرب لن يجدوا أحسن من هذه الصلاة أبداً، بل لانقطعوا دون أسرار الفاتحة كما يقول ابن القيم (١). انظر إلى الزكاة، تكافل اجتماعي بين الناس، وانظر إلى الحكمة في مقادير الزكاة؛ الرّكاز فيه الخمس، ثم ما سُقي بالنضح فيه العشر، ثم ما سُقي بكلفة بالآلات مثلاً؛ فيه نصف العشر، ثم الذهب والفضة - والنفس بهما أعلق - وكذلك الأوراق النقدية فيها ربع العشر، إذا حصل التعب وكثر تعلّق القلب بالمال؛ قلّت الزكاة.

وانظر إلى الصيام؛ يسوقك إلى المراتب العالية؛ ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]، يسوقك لتقوى الله، والزهد في الدنيا، والإقبال على الآخرة.

وانظر إلى الحج؛ تسافر إلى بيت الله الحرام شوقاً إليه، وتتحول مُعاداة الشيطان إلى واقعٍ عملي، ترمي الحصيات، تقول: الله أكبر.

انظر إلى المعاملات؛ حرّم الله تعالى بيع المسلم على أخيه؛ لأنه يُثير العداوة بينهما والشحناء.

انظر إلى النكاح؛ جعل الشرع إذن الولي شرطاً لصحة النكاح؛ لأنه أعلم بمصالح موليّه،

(١) ينظر: «شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل» (٢/ ٢٢٠).

وحتّى على النّظر إلى المخطوبة.

انظر إلى المواريث؛ ثلاث آيات في القرآن وبضعة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم جمعت المواريث في الإسلام، حتى قال بعض من أسلم من الكفّار: إنّه أسلم بسبب علم المواريث في الإسلام، يقول: هذا العلم لا ينضب أبداً عندنا، انظر كيف ضُبِطت أصوله بثلاث آيات.

انظر إلى الدعوة إلى الله تعالى؛ ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥]، فالشرع كلّ حكمة، وفي القرآن سورة مقصودها: تقرير الحكمة هي سورة لقمان؛ ﴿الْم ١ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾ [لقمان: ١ - ٢]، قال الله تعالى فيها: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنْ اشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]، وأول وصية أوصى بها لقمان ابنه: هي التوحيد؛ لأنّ التوحيد أعظم حكمة، الحكمة: وضع الشيء في موضعه، وأعظم ما يوضع في موضعه: عبادة الله تعالى؛ ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]، ترى في هذه الموعظة الحكمة في العقيدة، والعبادة، والمعاملات والأخلاق، والآداب، والله سبحانه وتعالى يؤتي الحكمة من يشاء؛ ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]، نسأل الله تعالى أن يجعل لنا من الحكمة أوفر نصيب.

قوله: «المُحْسِن»: فالله سبحانه وتعالى عطاؤه كلّ حسن جميل، وترى إحسان الله تعالى في كل شيء؛ ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ﴾ [السجدة: ٧]، ﴿وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ﴾ [غافر: ٦٤]، ترى إحسان الله تعالى عليك في صورتك وخلقك، وترى إحسانه تعالى في هذا الدّين، التفكّر في محاسن الإسلام من أعظم صور التعبد لله تعالى باسمه: المحسن، فالحمد لله الذي شرع لنا أحسن دين وأكملّه؛ ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨]، ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ﴾: أي الزموا دين الله الذي فطركم عليه حتى يكون صفة لكم، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء: ١٢٥]، ما أجمل توحيد الله! تسلم وجهك

وقلبك لله، لا محبوب أعظم من الله سبحانه وتعالى، ولا معبود في القلب إلا الله سبحانه وتعالى.

ثم إحسان العبد نوعان: إحسان مع الله، وإحسان مع عباده.

فالإحسان مع الله يكون بتحقيق الإخلاص والمتابعة، قال الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [تبارك: ٢]، قال الفضيل بن عياض: «أَحْسَنُ عَمَلًا»: أخلصه وأصوبه، والخالص ما كان لله، والصواب ما كان على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم (١).

وأعظم الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، وانظر إلى قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]، لما كانت عبادة المحسنين قائمة على المشاهدة والقرب؛ ناسب أن يكون جزاؤهم لذة النظر إلى وجهه جلّ وعلا، ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ﴾ [يونس: ٢٦]: هي الجنة، ﴿وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦]: فسرها النبي صلى الله عليه وسلم بالنظر إلى وجه الله الكريم. والنوع الآخر: أن تحسن إلى الناس، فتحسن إلى والديك، وهما أحق من تحسن إليه من الناس، وتحسن إلى عامة الناس، إذا أساء إليك أحدٌ تذكر أن الله تعالى مُحسن يحب المُحسنين؛ فتعفو وتصفح، وتدفع بالتي هي أحسن، ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وإحسانك إلى الناس أنت المستفيد منه في الحقيقة؛ ﴿إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ﴾ [الإسراء: ٧]، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما شكَا إليه رجل قسوة قلبه: «امْسَحْ رَأْسَ الْيَتِيمِ وَأَطْعِمِ الْمِسْكِينَ» (٢)، وهي ثمرة عظيمة يفوز بها من يحسن إلى الناس، يفوز بركة القلب، فالتعبد لله تعالى باسمه المحسن يقتضي منك أن تحسن في عبادتك لله، وأن تحسن إلى خلق الله.

قوله: «الجبَّارُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الجبَّار، والجبَّار: هو ذو الجبروت؛ أي

(١) أخرجه ابن أبي الدنيا في «الإخلاص» (٢٢).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (٩١٤٠) وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٢ / ٦٧٦).

العظمة والقهر والعزة، وسيأتي الكلام على التعبد لله باسمه الجبار بهذا المعنى في اسم الله العزيز الذي ذكره الناظم بعد ذلك، ومن معنى اسم الله الجبار: أنه ذو الجبر، الذي يجبر الكسير، ويغني الفقير، وييسر العسير، وقد ورد في الحديث: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَقُولُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاجْبُرْنِي، وَاهْدِنِي، وَارْزُقْنِي»^(١).

وأول ما يخطر بالقلب إذا قلت: «وَاجْبُرْنِي»: جبر القلب بالإيمان، وبمحبة سبحانه وتعالى، فالله عز وجل جبر قلوب أوليائه بمحبته، وبأن أسكن قلوبهم خشيته، فهذا جبر خاص يبعث في قلبك محبته وودده والأنس به سبحانه وتعالى.

وله معنى ثالث: وهو العلو، فالجبار العالي فوق خلقه، يقولون: نخلة جبارة: أي طويلة تفوت اليد، قال ابن القيم - رحمه الله تعالى - في «النونية»^(٢) في هذا المعنى الثالث:

مِنْ قَوْلِهِمْ: جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الـ عُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ

فيرجع اسم الجبار في هذا المعنى الثالث إلى معنى العلو الذي سبق في الكلام عن اسم الله العلي والأعلى والمتعالى، وقد قال ابن أبي داود في «حائثه» عند ذكر عقيدة أهل السنة في نزول الله سبحانه وتعالى إلى سماء الدنيا كما يليق بجلاله:

وَقُلْ يَنْزِلُ الْجَبَّارُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ بِلاَ كَيْفَ جَلَّ الْوَاحِدُ الْمُتَمَدِّحُ

إذا فُسِّرَ الجبار في البيت بالعالي؛ يكون فيه: أن الله سبحانه وتعالى ينزل إلى سماء الدنيا كما يليق بجلاله، وأن هذا لا ينافي صفة العلو، فوضع اسم الجبار هنا في غاية الملائمة، فهو سبحانه علي في دُنُوّه، قريب في عُلُوّه.

قوله: «وَهُوَ الْعَزِيزُ»: اسم الله العزيز له ثلاثة معانٍ كذلك: الممتنع الذي لا يبلغ ضرره

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٨٥٠)، والترمذي في «الجامع» (٢٨٤)، وابن ماجه في «السنن» (٨٩٨)

وحسنه الألباني في صحيح سنن أبي داود (٤٣٦ / ٣).

(٢) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٧٢٦ / ٣).

أحد، والقاهر الغالب، والقوي، وقد جمع ابن القيم هذه المعاني الثلاثة في «النونية»^(١) فقال:

وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَّابُ لَمْ يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ
وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ فَالْعِزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانِ

والعزة كلها لله، فمن أراد العزة فعليه بالتمسك بهذا الدين، والاجتهاد في تحقيق العبودية في نفسه ومن حوله، ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠]، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٩]، فالعزة مربوطة بطاعة الله، والنصر مربوط بطاعة الله؛ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، انظر كيف نصر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وأصحابه رضي الله عنهم في بدر؛ بعزة الله ونصره؛ ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، لكن انظر في غزوة أحد كيف أن المسلمين انتصروا في بداية المعركة، فلما حصلت المعصية حين نزل بعض الرماة من الجبل، وخالفوا أمر النبي صلى الله عليه وسلم، وإن كان عن تأول؛ حصلت الهزيمة، ﴿أَوَلَمَّْا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٥]، وانظر أيضًا في غزوة حُنين، فتحت مكة على النبي صلى الله عليه وسلم، وسار إلى حُنين، وقد اجتمعت هنالك هوازن، وجمعوا جموعهم، وكان جيش المسلمين اثني عشر ألفًا، فدخل العُجب في نفس بعض الجيش وقالوا: لن نُغلب اليوم من قلة؛ فحصلت الهزيمة، ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٥]، ثم بعد ذلك لما توكلوا على الله تعالى وأيقنوا أنه النصير الغالب نصرهم؛ ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦]، وما أجمل صنيع أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لما فتح بيت المقدس؛ خرج إلى الشام وفي الطريق خاض مَخَاضَةً فحمل نعليه على عاتقه، فقال

(١) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣/ ٧١١).

لَهُ أَبُو عبيدة رضي الله عنه: يا أمير المؤمنين، أنت تفعل هذا، ما يسُرُّني أن أهل البلد استشفروك، أي ما يسُرُّني أن تلقى أهل الشام فيروك بهذه الهيئة، فقال عمر رضي الله عنه: «إِنَّا كُنَّا أَذَلَّ قَوْمٍ فَأَعَزَّنَا اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ، فَمَهْمَا طَلَبْنَا الْعِزَّةَ فِي غَيْرِهِ أَذَلَّنَا اللَّهُ»^(١)، فالنصر يكون بتحقيق التوحيد، وطاعة الله ورسوله، والهزيمة تكون مع المعصية وتعلُّق القلوب بغيره.

ويكون تحقيق العزة بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، ونشر الخير بين الناس، والكلمة الطيبة، ومن الناس من يريد العزة؛ لكنَّه يسلك لذلك طرقاً ملتوية في طلب العزة؛ فيُثير الفتن في المجتمعات، ويُكفر بغير حق -نسأل الله العافية-، وهذا في الحقيقة يرجع بالدعوة إلى الورا؛ ويُضَيِّع الجهود، ويُسيء إلى الدعوة، ويُسيء إلى الإسلام.

وكما نرى عِزَّةَ الله في نصرِهِ لعباده، نرى عزته في قضائه وقدره، وفي القرآن سورة تقرّر أن الله تعالى غالبٌ على أمره هي سورة يوسف، انظر إلى قوله تعالى فيها: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١].

انظر في صور ذلك من قصة يوسف عليه السلام؛ يقول يعقوب عليه السلام لابنه يوسف عليه السلام: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف: ٥]، لم يقصّها يوسف، ومع ذلك كادوا له، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، يكيدون له ويُلْقُونَه في الجُبِّ حتى يُبْعَدَ ويُنْسَى، وإذا به يُخْرَجُ من الجُبِّ إلى القصر، ويُمكن له في الأرض، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، في القصر تكيّد له امرأة العزيز، وتراوّدُه عن نفسه، ﴿وَرَاودَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْنِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ﴾ [يوسف: ٢٣]، فحفظه الله بإخلاصه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، عرفوا براءتَهُ، ومع ذلك سجنوه، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، وفي السجن يقول للسّاقِي: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ﴾، يبقى سنوات في السجن، كيف يخرج؟ يُقدّر الله تعالى أن الملك يرى رؤيا لا يعبرها

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٢٠٨) وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١ / ١١٨)،

و«صحيح الترغيب والترهيب» (٣ / ١٠٠).

إلا يوسف، فيخرج من السجن، ويجعل الله له العزة والتمكين، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٢١]، لماذا لا يعلمون؟ لأنهم يتعلقون بالأسباب الظاهرة وينسون أن الله تعالى غالبٌ على أمره، ينسون أن الله تعالى هو العزيز، وكذلك ينبغي أن يكون المسلم في نفسه عزيزاً، لا يرضى أن يكون أسير شهوة، يقول الحسن البصري - رحمه الله تعالى - عن العصاة: «إنهم وإن طُفِّطَتْ بهم البغال، وهُمِّلَجَتْ بهم البراذين، إنَّ ذلَّ المعصية لفي قلوبهم لا يفارقهم، أبى الله إلا أن يُذَلَّ من عصاه»^(١)، يقول ابن المبارك رحمه الله تعالى: **رَأَيْتُ الذُّنُوبَ تُمِيتُ الْقُلُوبَ وَقَدْ يُورِثُ الذُّلَّ إِذْمَانُهَا وَتَرَكَ الذُّنُوبَ حَيَاةَ الْقُلُوبِ وَخَيْرٌ لِنَفْسِكَ عَصْيَانُهَا**^(٢)

والمسلم حين يتعبد لله تعالى باسمه العزيز، وباسمه الجبار؛ يخضع لله، انظر في صيامك عند وقت الإفطار؛ تنتظر أمر سيدك حتى تأكل، في الحج؛ الحج كله خضوعٌ لله؛ تطوف ببيت سيدك حاسر الرأس، في الصلاة ترفع يديك مستسلماً في أولها، ثم تضع اليمنى على اليسرى، خضوعٌ بين يدي الجبار العزيز سبحانه وتعالى، وتأمل في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٨]، أهل العلم حقاً يستشعرون عزة الله وعظمته وجبروته؛ فبذلك تخشع قلوبهم ويخشونه سبحانه وتعالى حقَّ خشيته.

قوله: «القَاهِرُ الْقَهَّارُ»: من أسماء الله تعالى: القاهر، والقَهَّار؛ أي المستعلي الغالب، فأمره نافذ لا رادَّ له، وهذا الاسم يدل على أن الله تعالى هو المعبود بحق، كيف دعا يوسف عليه السلام صاحبي السجن إلى توحيد الله؟ قال: ﴿يَا صَاحِبِيَ السِّجْنِ أَأَرَبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [يوسف: ٣٩]، القَهَّار الذي خضع له كل شيء هو الذي يستحق أن يُعبد، ﴿قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦]، ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِرٌ وَمَا مِن إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [ص: ٦٥]، وإذا تفكرت في اسم الله القَهَّار أورتك ذلك دوام الانكسار له

(١) ينظر: «الداء والدواء» لابن القيم (ص ١٤٦).

(٢) أخرجه ابن المقرئ في «المعجم» (١٢٠٥)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٨ / ٢٧٩).

سبحانه وتعالى، ودوام الخضوع له.

ومن التعبّد باسم الله تعالى القاهر القهّار: ألا تتعامل مع الناس بالقهْر، القهْر المحمود: أن تَقَهْرَ شيطانك، لا أن تقهر من لا يستحق القهر؛ ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩]، وهكذا يكون تعاملك مع الناس كلّهم بالرحمة والرّفق، أبو مسعود الأنصاري رضي الله عنه قال: «كُنْتُ أَضْرِبُ غُلَامًا لِي، فَسَمِعْتُ مِنْ خَلْفِي صَوْتًا: «اعْلَمْ أَبَا مَسْعُودٍ، لِلَّهِ أَقْدَرُ عَلَيْكَ مِنْكَ عَلَيْهِ»، فَالْتَفَتْتُ فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هُوَ حُرٌّ لَوَجْهِ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَمَا لَوْ لَمْ تَفْعَلْ لَلْفَحْتِكَ النَّارَ»، أَوْ قَالَ: «لَمَسْتِكَ النَّارَ»^(١)، وهكذا ينبغي أن نضع القهْر في موضعه، وأن نعامل الناس بالرّفق واللين والرحمة.

قوله: «هُوَ الْمَتِينُ الْمُتَكَبِّرُ الْقَوِي»: المتين، والقوي، سبق هذان الاسمان مع اسم الله: القادر.

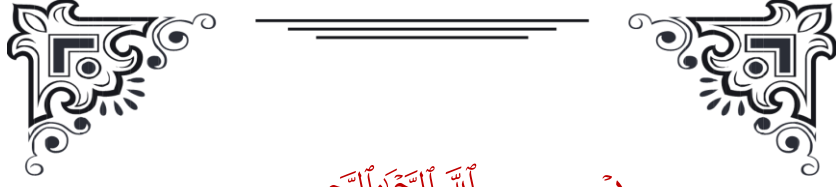
واسمُ الله: المتكبر معناه: الذي تكبّر عن كل نقصٍ وظلم، والذي يتكبر على عتاة خلقه إذا نازعوه العظمة، فيَقْصِمُهُم، فالكبرياء لله وحده، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «الْكِبْرِيَاءُ رِذَائِي، وَالْعِظَمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَارَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا، قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ»^(٢)، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»^(٣)، فالمؤمن الذي يعرف أن الله تعالى هو المتكبر؛ يتواضع لله، ويتواضع لعباد الله، فيتعامل معهم بالرحمة والعطف، ﴿وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الحجر: ٨٨]، واسم الله المتكبر قريبٌ من اسمه العظيم الذي سبق الكلام عنه، ففيه هنا من التأمّلات ما في اسم الله العظيم.



(١) أخرجه مسلم في «الصحیح» (١٦٥٩).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحیح» (٢٦٢٠)، وأبو داود في «السنن» (٤٠٩٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه مسلم في «الصحیح» (٩١).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الناظم:

هُوَ الْمَتِينُ الْمُتَكَبِّرُ الْقَوِي ١٢ سُبْحَانَهُ وَهُوَ الْجَمِيلُ وَالْحَيِّي
الْبَرُّ وَالْمُؤْمِنُ وَالْغَنِي ١٣ الْوَارِثُ الرَّفِيقُ وَالْحَفِي
رَحْمَنُ يَا رَحِيمُ يَا رَوْفُ ١٤ أَنْتَ الْمُبِينُ الْهَادِ وَاللَّطِيفُ



قوله: «وَهُوَ الْجَمِيلُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الجميل، وأعظم لحظة وأجمل لحظة تمرُّ على الإنسان هي اللحظة التي يفوز فيها بأعظم نعيم؛ وهو النظر إلى وجه الله الكريم، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِذَا دَخَلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: تُرِيدُونَ شَيْئًا أَزِيدُكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ تُبَيِّضْ وُجُوهَنَا؟ أَلَمْ تُدْخِلْنَا الْجَنَّةَ، وَتُنَجِّنَا مِنَ النَّارِ؟»، كأنهم يسألون: هل هناك مزيدٌ على هذا النعيم الذي نحن فيه؟ قال النبي صلى الله عليه وسلم قال-أي الله جل جلاله-: «فَيُكْشَفُ الْحِجَابُ، فَمَا أُعْطُوا شَيْئًا أَحَبَّ إِلَيْهِمْ مِنَ النَّظَرِ إِلَى رَبِّهِمْ عَزَّ وَجَلَّ»^(١)، أي لذة وأي سعادة سيشعر بها هذا العبد وهو يتلذذ بالنظر إلى وجه الله الكريم، وقد كان من دعائه صلى الله عليه وسلم: «وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشَّوْقَ إِلَى لِقَائِكَ»^(٢)، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: «حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَخْرَقَتْ سُبُحَاتُ

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٨١).

(٢) أخرجه النسائي في «المجتبى» (١٣٠٥) وصححه الألباني في «صحيح سنن النسائي» (١/ ٢٨١).

وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١)، قال ابن القيم في «مدارج السالكين»^(٢):

وَوَرَاءَ هَاتِيكَ الشُّتُورِ مُحَجَّبٌ بِالْحُسْنِ كُلِّ الْعِزِّ تَحْتَ لَوَائِهِ
لَوْ أَبْصَرْتَ عَيْنَاكَ بَعْضَ جَمَالِهِ لَبَدَّلْتَ مِنْكَ الرُّوحَ فِي إِرْضَائِهِ

وقال في «النونية»^(٣):

وَاللَّهُ لَوْلَا رُؤْيَا الرَّحْمَنِ فِي الْـ جَنَّاتٍ مَا طَابَتْ لِذِي الْعِرْفَانِ
أَعْلَى النَّعِيمِ نَعِيمُ رُؤْيَا وَجْهِهِ وَخَطَابِهِ فِي جَنَّةِ الْحَيَوَانِ
وَأَشَدُّ شَيْءٍ فِي الْعَذَابِ حِجَابُهُ سُبْحَانَهُ عَنْ سَاكِنِي النَّيِّرَانِ

النسوة قطعن أيديهن لما رأين جمال يوسف عليه السلام، فكيف لمن له الجمال كله، بل نسبة كل جمال إلى جماله أقل من نسبة سراج ضعيف إلى عين الشمس، كما يقول ابن القيم رحمه الله تعالى^(٤).

تفكر في أنك على موعد عظيم لرؤية جمال الرب جل جلاله يسوقك سوقاً حثيثاً إلى الاجتهاد في الطاعات، يقول الحسن البصري: «لو يعلم الزاهدون العابدون أنهم لا يرون ربهم في الآخرة لزهقت أنفسهم في الدنيا»^(٥)، وكان حكيم بن حزام رضي الله عنه يقول في طوافه بالكعبة: «لا إله إلا الله نعم الرب، ونعم الإله، أحبه وأخشاه»^(٦)، انظر إلى هذه المحبة. ومن التَّعَبَّدَ لله باسمه الجميل: أن تتفكر في جمال المخلوقات حتى توقن بجماله جلَّ

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٧٩).

(٢) ينظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٤ / ٢١٨).

(٣) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣ / ١٠١٦).

(٤) ينظر: «شفاء العليل» لابن القيم (١ / ٣٥٦).

(٥) أخرجه الثعلبي في «التفسير» (٢٩ / ١٦).

(٦) أخرجه ابن الجنيدي في «المحبة لله» (١٣٦).

وعلا؛ لأنَّ موجد الجمال في المخلوقات أولى وأجدر به كما قال ابن القيم في «النونية»^(١):

وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا وَجَمَالُ سَائِرِ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
مِنْ بَعْضِ آثَارِ الْجَمِيلِ فَرُبُّهَا أَوْلَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِزِّ
فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ

أبو نواس الشاعر رآه بعض أصحابه في المنام فقال له: «ما فعل الله بك؟ فقال: غفر لي

بأبيات قتلها في النرجس»^(٢)، النرجس: بكسر النون، وفتحها، والكسر أقيس، قال:

تَأْمَلْ فِي نَبَاتِ الْأَرْضِ وَانْظُرْ إِلَى آثَارِ مَا صَنَعَ الْمَلِكُ
عُيُونُ مَنْ لُجَيْنِ شَاخِصَاتُ بِأَخْدَاقِ هِيَ الذَّهَبُ السَّيِّكُ
عَلَى قُضْبِ الزَّبَرْجَدِ شَاهِدَاتُ بِأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ لَهُ شَرِيكُ

إذا كانت هذه المخلوقات جميلة؛ فواهبُ الجمال أولى به، ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ

فَوْفَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]، قال تعالى: ﴿وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا

فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ [ق: ٧]؛ حسن المنظر، تبتهج نفسك من جماله.

وكما نتفكر في جمال مخلوقات الله؛ نتفكر في جمال شرع الله، كم سمعت عمَّن أسلم

بسبب أنه رأى المصلين، ورأى جمال الصلاة، كم من الناس أسلم بسبب جمال الأذان.

وقريبٌ من اسم الله الجميل: اسم الله: النور، وقد ذكر الناظم -وفقه الله- في أول شرحه:

أنَّه تردَّد فيه، وقد اختلف العلماء في عدِّه من أسماء الله الحسنى، فعَدَّه منها بعضهم: كابن القيم

في «النونية»^(٣) حيث قال:

وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمِنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ

(١) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣/ ٧٠٦).

(٢) أخرجه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١٣/ ٤٦٥).

(٣) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣/ ٧٣٣).

ولم يعدّه آخرون، ولكل وجه، لكن حتى على القول بأنه ليس من أسمائه؛ فالصفات محلّ للتفكر وللتعبد بمقتضاها، فالله تعالى هو النور، و«حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتُ وَجْهِهِ مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(١)؛ أي أحرقت أنوار وجهه وجلاله كل شيء، وشرعه نور، وكلامه نور، ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ [النور: ٣٥]، «اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ»: أي هادي أهل السماء وأهل الأرض، وهذا نور معنوي، وكذلك يدخل فيها: النور الحسي؛ فهو مُنَوِّرُ السماوات والأرض نورها بخلق الشمس والقمر والنجوم التي فيها النور، وهذا مثل عظيم هو مثل نور الإيمان على نور الفطرة في قلب المؤمن، وكذلك العبادات كلها نور؛ قال صلى الله عليه وسلم: «وَالصَّلَاةُ نُورٌ»^(٢)، وتأمل كيف سمى الله تعالى سورة كاملة في القرآن بسورة النور، سُميت بهذا الاسم؛ لأنها تبين الآداب التي يُنير بها المجتمع، والتي تقضي على الفاحشة والرذيلة، ذكر الله تعالى في أولها حدّ الزنا، ثم حدّ القذف، وذكر آداب الاستئذان، وذكر بعد ذلك غُصّ البصر، وحفظ الفرج، والحجاب، والزواج، هذه آداب تستنير بها القلوب والبيوت والمجتمعات؛ لذلك سورة النور سورة تُنير المجتمعات، وتقضي على الفاحشة والرذيلة.

وبحسب ما يكون في قلبك من نور الإيمان الذي تترجمه بأعمالك؛ يكون لك النور في الآخرة؛ ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [الحديد: ١٢]، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن الناس يُعطون نورهم على الصراط على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يُعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يُعطى نوره مثل النخلة يمينه، ومنهم من يعطى نوره دون ذلك، حتى يكون آخر ذلك من يُعطى نوره على إبهام قدميه يُضيء مرة ويُطفأ مرة، فإذا أضاء قدمه، وإذا طُفئ قام أي وقف، وفي آخره قال: «فَيَقَالُ:

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٧٩).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٣).

انْجُو عَلَى قَدْرِ نُورِكُمْ»^(١)، فنسأل الله تعالى أن يجمعنا بزيينة الإيمان، وأن يجعل في قلوبنا نورًا، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول في دعائه: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وَفِي لِسَانِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي سَمْعِي نُورًا، وَاجْعَلْ فِي بَصَرِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ خَلْفِي نُورًا، وَمِنْ أَمَامِي نُورًا، وَاجْعَلْ مِنْ فَوْقِي نُورًا، وَمِنْ تَحْتِي نُورًا، اللَّهُمَّ أَعْطِنِي نُورًا»^(٢)، نسأل الله أن يُعْظِمَ لنا نورًا.

قوله: «وَالْحَيِّي»: من أسمائه تعالى: الْحَيِّي، «رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَغْتَسِلُ بِالْبَرَّازِ - أي في الصحراء - بِلَا إِزَارٍ، فَصَعِدَ الْمُنْبَرُ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّي سَتِيرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسَّتْرَ فَإِذَا اغْتَسَلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَسْتَسِرْ»^(٣)، لاحظ.. أول ما قام في قلب النبي صلى الله عليه وسلم: حياءُ الله جل وعلا، وعالج هذا الموقف بأسماء الله الحسنى، فبنى كلامه ووعظه عليها.

والحياء صفة عظيمة تليق بجلال الله وعظمته، ولها أثر عظيم في قلب المسلم، فإذا رفعت يديك في الدعاء تستشعر اسم الله الْحَيِّي فتتكسر وتفتقر إلى ربك؛ «إِنَّ اللَّهَ حَيِّي كَرِيمٌ يَسْتَحْيِي إِذَا رَفَعَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ يَدَيْهِ أَنْ يَرُدَّهُمَا صِفْرًا خَائِبَتَيْنِ»^(٤)، ما أجمل أن تستشعر هذا المعنى في دعائك، كيف لا يستحي العبد من ربه، والله يستحي من عبده إذا رفع إليه يديه! جاء في الأثر: أن ابن مسعود رضي الله عنه قال - ويروى مرفوعاً -: «الاستحياء من الله حق الحياء: أن تحفظ

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرک» (٣٤٢٤) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٩٤/٣).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٧٦٣).

(٣) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٠٦)، وأبو داود في «السنن» (٤٠١٢) وصححه الألباني في «الإرواء» (٣٦٧/٧).

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٥٥٦)، وأبو داود في «السنن» (١٤٨٨)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٦٥) وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٦/٥).

الرأس وما وَعَى، وَأَنْ تَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى»^(١)، هذا هو الحياء الحقيقي من الله تعالى، أن يحفظ العبد بصره عن النظر إلى الحرام، وأذنه عن استماع الحرام، ولسانه عن الكلام بالحرام، وبطنه عن لقمة الحرام، وقد دخل رجل على الإمام أحمد فأنشده أبياتاً يقول فيها الشاعر:

إِذَا مَا قَالَ لِي رَبِّي أَمَا اسْتَحْيَيْتَ تَعْصِيَنِي
وَتُخْفِي الذَّنْبَ مِنْ خَلْقِي وَبِالْعُضَيَّانِ تَأْتِيَنِي
فَمَا قَوْلِي لَهُ لَمَّا يُعَاتِبُنِي وَيُقْصِيَنِي

فقال: أَعِدْ عَلَيَّ فَأَعِدْتُ عَلَيْهِ فقام ودخل بيته ورد الباب، فسمعت نحيبه من داخل البيت^(٢).

سبحان الله!! نعصيه فيستر علينا، ثم ندعوه فيستحيي منّا، سبحانه ما أعظمه! ما أكرمّه! بكى الأسود بن يزيد فسئل عن سبب بكائه؟ فقال: «والله لو أُتيتُ بالمغفرة من الله لأهمني الحياء منه ممّا قد صنعت، إن الرجل ليكون بينه وبين الرجل الذنب الصغير فيعفو عنه ولا يزال مستحيّاً منه»^(٣)، وقد بكى الفضيل بن عياض بكاءً شديداً في عرفة، وكان يقول: «واسوأته منك وإن عفوت»^(٤).

وانظر إلى هذا المشهد الرائع في الحياء: إحدى ابنتي شيخ مدين التي قال الله في شأنها: ﴿فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

-
- (١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٥٨) مرفوعاً وحسنه الألباني لغيره في صحيح الترغيب والترهيب (٣١٩/٢)، وصوب المنذري وقفه على ابن مسعود رضي الله عنه.
- (٢) ينظر: «تلييس إبليس» لابن الجوزي (ص ٢٠٢)، و«الكلام عن مسألة السماع» لابن القيم (ص ٥٢).
- (٣) أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (١٠٣/٢).
- (٤) ينظر: «التبصرة» لابن الجوزي (١٤٢/٢).

«جاءت تمشي على استحياء قائلة بثوبها على وجهها ليست بسلفع خراجة ولاجة»^(١)، وانظر إلى جمال التعبير في قوله تعالى: ﴿تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ﴾ [القصص: ٢٥]، كأنها جعلت الحياء طريقاً لها في الحياة تمشي عليه، فالحياء هو سبيلها الذي تسير فيه، وتأمل في قولها لموسى عليه السلام - هل تجد فيه كلمة واحدة زائدة؟ -: ﴿إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا﴾ [البقرة: ٢٥]، ليس فيها كلمة زائدة، وهذا من تمام حيائها، فالمرأة لها نصيب عظيم من التعبد لله باسمه: الْحَيِّ، وقد كانت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تدخل بيتها حاسرة الرأس وقد دُفن فيه زوجها وأبوها، لكن لما دُفن عمر رضي الله عنه في حجرتها لم تدخل حجرتها إلا وهي متحجبة، وهو ميت، لكنه من حيائها رضي الله عنها وأرضاها.

قوله: «الْبَرُّ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: البرُّ، والبرُّ: كثير الإحسان، وكلمة «الْبَرُّ» كلمة جامعة لخصال الخير، تُذكر مع الوالدين، يُقال: برُّ الوالدين؛ أي الإحسان إليهما بكل ما تستطيع من الإحسان، وقد جاء هذا الاسم في موضع من القرآن في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَّانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور: ٢٧-٢٨]، فالله تعالى هو الذي هدانا للإسلام، ورزقنا أن ولدنا بين أبوين مسلمين، وهو الذي وفقنا للإيمان، وأنعم علينا بالأعمال الصالحة، وإذا عصيناه أنعم علينا بالتوبة، ثم يرحمنا ويقينا عذابه ويدخلنا جنته، ويقرّبنا إليه، نسأل الله من فضله، ﴿إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ﴾ [الطور: ٢٨]، وهو قريب من اسم الله: الواسع، وقد سبق.

قوله: «وَالْمُؤْمِنُ»: من أسمائه تعالى: المؤمن، ورد في آخر سورة الحشر: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، والمؤمن كما قال مجاهد: «الذي وحد نفسه بقوله: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ

(١) أخرجه ابن أبي حاتم في «التفسير» (٩ / ٢٩٦٥)، وصححه إسناده ابن كثير في «التفسير» (٦ / ٢٢٨)،

والسلفع من النساء: الجريئة السليطة.

الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ [آل عمران: ١٨] ^(١)؛ أي أن الله جل وعلا صدّق نفسه بأنه المتفرد بالكمال والعظمة، وأنه المستحق للعبودية.

ومن آثار هذا الاسم: أنك إذا سمعت: «يا أيها الذين آمنوا»؛ تعلق قلبك بما بعدها، كما قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إذا سمعت الله عز وجل يقول في كتابه: يا أيها الذين آمنوا؛ فأصغ لها سمعك؛ فإنما هو خيرٌ تؤمر به، أو شرٌّ تنهى عنه» ^(٢).

ومن معاني اسم الله المؤمن: أنه سبحانه وتعالى كما يؤمن بأنه لا إله إلا هو ويصدق نفسه؛ فهو كذلك يصدق الشاهدين له بالتوحيد، المؤمن: الذي يصدق عبادة الموحدين، كما جاء في الحديث: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ، قَالَ يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَأَنَا أَكْبَرُ، وَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَحْدِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا وَلَا شَرِيكَ لِي، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، لِي الْمُلْكُ، وَلِي الْحَمْدُ، وَإِذَا قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، قَالَ: صَدَقَ عَبْدِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِي» ^(٣)، تستشعر أنك كلما نطق بكلمة التوحيد: لا إله إلا الله؛ فإن الله تعالى يصدقك، وهذا من آثار الإيمان باسم الله المؤمن، وعلى هذا المعنى فالمؤمن مأخوذ من الإيمان بمعنى: التصديق.

ويصح أيضاً أن يكون مأخوذاً من الأمن، فهو الذي آمن عباده، وحفظ لهم نعمة الأمن، بأن شرع لعباده تنصيب الولاة، وأمر بطاعة ولاة الأمر في المعروف، وعدم الخروج عليهم، انظر إلى بعض بلاد المسلمين كيف يعيشون في فتن وخوفٍ وسفكٍ للدماء وانتهاك

(١) أخرجه الثعلبي في «التفسير» (٢٦ / ٢٦٧).

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في «التفسير» (١ / ٢١١).

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٤٣٠)، وابن ماجه في «السنن» (٣٧٩٤) واللفظ له، وصححه الألباني

في «السلسلة الصحيحة» (٣ / ٣٧٨).

للأعراض، رُفِعَ عنهم الأمن حتى إِنَّ الواحد منهم لا يستطيع أن يخرج إلى بيت الله يصلي، فمن أعظم نعم الله تعالى هذا الأمن الذي نعيشه والله الحمد.

قوله: «وَالْغَنِيِّ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الغني، فهو الذي استغنى عن الخلق، فلا يحتاج إلى أحد منهم، وجميع الخلق مفتقرون إليه، فهو غني عن الولد؛ ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنَّ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٦٨]، فهو سبحانه وتعالى غني عن كل شيء، غني عن الشريك؛ قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءَ عَنِ الشُّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِيَ غَيْرِي، تَرَكْتُهُ وَشُرَكَاهُ»^(١)، غني عن طاعة الخلق؛ فلا تنفعه طاعة الطائعين، ولا تضره معصية العاصين؛ ﴿وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ [العنكبوت: ٦]، ﴿وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٤٠]، ﴿فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوْا وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [التغابن: ٦]، ﴿وَقَالَ مُوسَى إِنَّ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٨]، فالله تعالى هو الغني ونحن الفقراء إليه؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥]، واستمع إلى هذا الحديث العظيم في الافتقار إلى الله تعالى، وانظر إلى أثره على راويه؛ عن أبي إدريس الخولاني، عن أبي ذر رضي الله عنه: أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ فِيمَا يَرُوي عَنْ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي، وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا، فَلَا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ، إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ، فَاسْتَطْعِمُونِي أَطْعَمَكُمْ، يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ، إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ، فَاسْتَكْسُونِي أَكْسَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ، يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي، فَتَنْفَعُونِي، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنُّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٩٨٥).

وإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبٍ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا، يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوْلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ، مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُخْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِلَيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا، فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ، فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» قَالَ سَعِيدٌ- الراوي عن أبي إدريس الخولاني-: كَانَ أَبُو إِدْرِيسَ الْخَوْلَانِيُّ، إِذَا حَدَّثَ بِهَذَا الْحَدِيثِ، جَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ. ^(١)، سبحان الله!

قوله: «الْوَارِثُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الوارث؛ الذي يرث كل شيء، وهذا من تمام ملكه سبحانه وتعالى؛ ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِنَّا يُرْجَعُونَ﴾ [مريم: ٤٠]، ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾ [القصص: ٨٨]، فهو الباقي بعد خلقه سبحانه وتعالى، كل موجود يفنى ويرجع إلى الله تعالى، والله سبحانه وتعالى هو الباقي بعد فناء خلقه، وإليه يرجع كل شيء، لذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الحديد: ١٠]، لماذا لا تنفق؟ في النهاية لن يبقى شيء بيدك، فالله سبحانه وتعالى يرث كل شيء، ثم المؤمن الفطن العاقل يهتم بأعظم ميراث؛ وهو ميراث الأنبياء: العلم النافع، ويجتهد في تحقيق الإيمان، وتحقيق صفات المؤمنين، حتى يكون من الوارثين؛ ﴿الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١١].

ومن أسمائه سبحانه وتعالى: الرَّفِيقُ، وَالْحَفِيُّ، وَالرَّحْمَنُ، وَالرَّحِيمُ، وَالرَّؤُوفُ.
قوله: «الرَّفِيقُ»: فالرفيق: من الرفق، وهو اليسر والسهولة، فهو سبحانه الميسر المسهل لأسباب الخير؛ «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ» ^(٢).
قوله: «وَالْحَفِيُّ»: أي المبالغ في البرِّ واللطف.

(١) أخرجه مسلم في «الصحیح» (٢٥٧٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحیح» (٦٩٢٧)، ومسلم في «الصحیح» (٢٥٩٣).

قوله: «رَحْمَنُ يَا رَحِيمٌ»: وهذان الاسمان يرجعان إلى صفة الرحمة، والفرق بينهما: أنَّ الرحمن اسم الله تعالى باعتبار تعلق صفة الرحمة به، والرحيم باعتبار تعلق الصفة بالمرحوم، قرَّر هذا ابن القيم في «بدائع الفوائد»^(١)، وعقده نظماً: الشيخ صالح العُصيمي حفظه الله فقال:

وَرَحْمَةُ اللَّهِ مَهْمَا عُلِّقَتْ بِذَاتِهِ فَلِاسْمِ رَحْمَنٍ ثَبَتَ
أَوْ عُلِّقَتْ بِخَلْقِهِ الَّذِي رَحِمَ فَسَمُّهُ الرَّحِيمَ فَازَ مَنْ سَلِمَ

قوله: «يَا رَوْوُفُ»: الرؤوف: الذي الرأفة صفته، والرأفة أعلى معاني الرحمة.

قَدِمَ سُبْحِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ نِسَاءٌ وَأَطْفَالٌ، وَإِذَا بامرأة قد فُجِعت بولدها تبحث عنه في السَّبي، فلَمَّا رَأَتْهُ إِذَا بها تسعى إليه وتأخذه وتلقمه ثديها، ما الذي قام بقلبه صلى الله عليه وسلم لما رأى هذا الموقف، هذا القلب الموصول بالله، قال: «أَتَرُونَ هَذِهِ طَارِحَةً وَلَدَهَا فِي النَّارِ؟»، تعجَّب الصحابة؛ قالوا: «لَا، وَهِيَ تَقْدِرُ عَلَى أَنْ لَا تَطْرَحَهُ»، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَلَّهِ أَزَحَمُ بِعِبَادِهِ مِنْ هَذِهِ بَوْلَدَهَا»^(٢)، ما من ذرة في هذا الكون إلا وقد أصابتها رحمة الله تعالى؛ ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦]، ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ كِتَابًا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ: إِنَّ رَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، فَهُوَ مَكْتُوبٌ عِنْدَهُ فَوْقَ الْعَرْشِ»^(٣)، لذلك العالم بالله لا يقتطع أحداً من رحمة الله، انظر كيف عظم الله شأن هذا الكتاب، حتى كتبه قبل أن يخلق الخلق، وجعله عنده فوق العرش؛ قال صلى الله عليه وسلم: «جَعَلَ اللَّهُ الرَّحْمَةَ مِثَّةَ جُزْءٍ، فَأَمْسَكَ عِنْدَهُ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ جُزْءًا، وَأَنْزَلَ فِي الْأَرْضِ جُزْءًا وَاحِدًا، فَمِنْ ذَلِكَ الْجُزْءِ يَتَرَاخُمُ الْخَلْقُ، حَتَّى تَرْفَعَ الْفَرَسُ حَافِرَهَا عَنْ وَلَدِهَا، خَشْيَةً أَنْ تُصِيبَهُ»^(٤)، فتراخُم الخلق هو بهذا

(١) ينظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٩٩٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٥٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٥٥٤)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٥١).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٠٠٠)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٥٢).

الجزء من رحمة الله، وهذه رحمة عامة جعلها الله للمسلم والكافر، وجعلها لكل مخلوق، لكن هناك رحمة خاصة هي أعظم رحمة رَحِمَنَا اللهُ تعالى بها: وهي أَنْ هَدَانَا لِلْإِسْلَامِ، أَنْ أَخْرَجَنَا مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، ﴿هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٩]، وهذا القرآن الذي بين أيدينا أعظم رحمة، انظر في سورة الرحمن؛ أول رحمة ذكرت هي: هذا القرآن؛ ﴿الرَّحْمَنُ ۝ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۝﴾ [الرحمن: ١-٣]، وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٥]، ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٤]، ومن أراد الرحمة من الله تعالى فعليه أَنْ يتعامل مع الخلق بالرحمة والرِّفق والرَّأفة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمَنُ ازْحَمُوا أَهْلَ الْأَرْضِ يَرْحَمَكُم مِّنْ فِي السَّمَاءِ»^(١).

وانظر إلى تعامل النبي صلى الله عليه وسلم؛ كيف كان رحيماً بالناس رفيقاً رؤوفاً؛ ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، كان في بيته في مِهْنَةٍ أهله، كان يلاعب الصبيان ويسلم عليهم، رآه أعرابيٌّ وهو يقبل الحسن والحسين، فقال الأعرابي وكأنه يراها رجولة: «إِنَّ لِي عَشْرَةً مِّنَ الْوَلَدِ مَا قَبِلْتُ مِنْهُمْ أَحَدًا»^(٢)، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «أَوَأَمَلُكَ لَكَ أَنْ تَزَعَ اللهُ مِنْ قَلْبِكَ الرَّحْمَةَ»^(٣)، ولما مات ابنه إبراهيم بكى، فقال بعض الصحابة: يا رسول الله، ما هذا؟ يظنُّ أَنْ الصبر يكون بعدم البكاء، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّهَا رَحْمَةٌ»^(٤).

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٩٤١)، والترمذي في «الجامع» (١٩٢٤) وهو في «السلسلة الصحيحة» للألباني (٥٩٤ / ٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٩٩٧)، ومسلم في «الصحيح» (٢٣١٨).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٩٩٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٣١٧).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٣٠٣).

قوله: «أَنْتَ الْمُبِينُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: المبين، ورد اسم الله المبين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوقِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥]، المبين: الذي أظهر الحق من الباطل.

قوله: «الْهَادِ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الهادي؛ الذي هدى الخلق لمصالحهم، والذي بَيَّنَّ للناس طريق الهدى، وهذه هداية دلالة، ثم وفق المؤمنين لسلوكه؛ وهذه هداية توفيق، وهو سبحانه وتعالى الذي يهدي المؤمنين لمنازلهم في الجنة، فاسمُ الهادي يتناول جميع أنواع الهداية؛ يتناول هدايته للخلق إلى مصالحهم، فهو الذي هدى كل المخلوقات، ترى الهداية في كل ما حولك؛ ﴿سَبِّحْ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۝ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ۝﴾ [الأعلى: ١-٣]، من هدى النحلة إلى أن تخرج من خليتها المسافات البعيدة ثم ترجع إلى الخلية لا تضيّعها؟ من هداها إلى أن تصنع خليتها على الشكل السداسي الذي تنعدم فيه الفراغات؟ ومن هدى النملة إلى أن تحمل قوتها؟ وأن تفلق حبة القمح فلتقين حتى لا تنبت؟ ثم بعض أنواع الحبّ قد ينبت بعد فلقه فلقاً واحدة، أي بعد فلقه شقين، فتلقها، ثم تعود وتلقها مرة أخرى؛ لأنها لو فُلقت مرة واحدة ستنبت، ثم من عنده قارورة عسل يرى أن النمل تجتمع على فمها؛ فالحل: أن تضع هذه القارورة في صحنٍ فيه ماء حتى لا تصل إليه النمل، يحصل أن النملة إذا لم تستطع الوصول إلى العسل بسبب الماء الذي وضعته حول القارورة؛ تذهب وتصعد الجدار حتى تصل إلى السقف، ثم إذا سامت فم القارورة وهي فوق القارورة على السقف تُلقي بنفسها حتى تسقط على فم القارورة لتستطيع أن تأخذ شيئاً من العسل، من هداها إلى هذا؟ سبحانه الله!! وقد ذكر الرازي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾ [الأعلى: ٣] أن تفصيل هذه الجملة ممّا لا يفي بشرحه المجلدات، بل العالم كله تفسير هذه الآية، وتفصيل هذه الجملة^(١). وكما أن الله تعالى هدى هذه الكائنات والبهائم لما فيه مصالحها؛ فكَذلك هدى الناس أعظم هداية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ

(١) ينظر: «مفاتيح الغيب» للرازي (٣١ / ١٢٩).

وَشَفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ [يونس: ٥٧]، وقال في القرآن: ﴿هُدًى لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ﴿ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]، ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، في كل مجالات الحياة، وقد تكلم الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في «أضواء البيان»^(١) بكلام جميل في تفسير هذه الآية، وكيف أن هذا القرآن كتاب هداية في كل مجالات الحياة؛ في العقيدة، والعبادات، والمعاملات، وغيرها، ومع هذه الهداية العظيمة ووضوحها فالموفق من وفقه الله، هنا تأتي هداية التوفيق، كم حرص النبي صلى الله عليه وسلم على أن يهدي عمه أبا طالب، وجاءه عند موته وهو يقول: «أَيُّ عَمٍّ، قُلْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، كَلِمَةً أَحَاجُّ لَكَ بِهَا عِنْدَ اللَّهِ»^(٢)، لكن سبحان الله!! ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]، أبى أن يقولها، فالهداية محض فضل الله تعالى؛ ﴿وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَبٌ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَٰئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً﴾ [الحجرات: ٧-٨]، ماذا بعدها؟ ﴿وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ فالهداية محض فضل الله ونعمته، ﴿عَلِيمٌ﴾ بمن يشكر هذه النعمة فيوفقه للهداية، ﴿حَكِيمٌ﴾ يضع فضله حيث تقتضيه حكمته، ثم يهدي الله عباده المؤمنين إلى منازلهم في الجنة ﴿وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَفَهَا لَهُمْ﴾.

قوله: «وَاللَّطِيفُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: اللطيف، واللطيف: العالم بدقائق الأمور، فهو بمعنى اسم الله الخبير، وقد مرَّ معنا الكلام عن اسم الله الخبير، والتفكر في هذا المعنى يحملك على الاستقامة في كل أمورك كبيرها وصغيرها، قال بعض السلف: «من حفظ على نفسه اللحظات -يعني لحظات العين-، واللفظات -لفظات اللسان-، والخطوات -خطوات القدم-، والخطرات -التي ترد على القلوب-؛ فقد حفظ دينه».

وللطيف معنى آخر: وهو الذي يوصل الخير إلى العبد بطريق خفي لا يعلمه، وانظر في

(١) ينظر: «أضواء البيان» (٣/ ٤٨٧-٥٤٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٨٨٤)، ومسلم في «الصحيح» (٢٤).

سورة يوسف كيف أن الله تعالى اختتمها بقوله: ﴿إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ﴾ [يوسف: ١٠٠]، انظر كيف ساق الله تعالى إليه الخير بأسبابٍ خفية قد تُظَنُّ شرًّا، ألقاه إخوته في الجُبِّ - وهو البئر - ليُنسى ويُبعد، وهذا الإلقاء في الجُبِّ لُطفٌ من الله تعالى به، فالجُبُّ هو عين حفظه من الذئاب، خاف أبوه أن يأكله الذئب، ثم هذا الجُبُّ كان البوابة الأولى للوصول إلى بلاد مصر، وقد أوحى الله تعالى إليه وهو في الجُبِّ: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥]، فاطمأن قلبه، هذا من لطف الله اللطيف سبحانه وتعالى، ﴿اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ﴾ [الشورى: ١٩].

ثم تأمل كيف أن الله تعالى قدَّر أن تمرَّ القافلة في ذلك الوقت؛ ﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ﴾ [يوسف: ١٩]، تأمل لو تأخرت هذه القافلة يومين أو ثلاثة ربَّما مات في البئر، ولو تقدَّمت لذهبت قبل أن يُلْقَى في البئر، لكن انظر إلى لطف الله سبحانه وتعالى، ثم يُباع، ويشتريه عزيز مصر، فيعيش في القصر، من الجُبِّ ينتقل إلى القصر، ثم بسبب فتنة امرأة العزيز يدخل السجن، ثم هذا السجن بوابة ثانية للوصول إلى ملك مصر. ثم تأمل في لطف الله تعالى بيوسف حين قال لساقي الملك: ﴿اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢]، لو خرج بشفاعته السَّاقِي سيخرج خروجًا عاديًّا، ثم قد يرجع مرة أخرى إلى فتن النساء والقصور، لكن الله تعالى أراد له الخير، قدَّر أن يرى الملك رؤيا يعجز جميع الناس عن تفسيرها، لا يَعْبُرُهَا إِلَّا يوسف عليه السلام، فأعجب الملك به، واستخلصه لنفسه، وظهرت براءته أمام الملاء، ومكَّن الله له في الأرض، قصة يوسف عليه السلام كُلُّها لطف من الله تعالى، قال ابن القيم «النونية»^(١) في اسم الله اللطيف:

وَهُوَ اللَّطِيفُ بِعَبْدِهِ وَلِعَبْدِهِ وَاللُّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إِدْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ

(١) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣/ ٧١٨).

فَيْرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ

قوله: «إِذْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ»: يعني العليم بدقائق الأمور، وهذا بمعنى اسم الله الخبير.

قوله: «فَيْرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ»: أي في الظاهر ترى عزة الله وأن هذا بلاء.

انظر إلى قوله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي كانت تُصرع: «إِنْ شِئْتَ صَبْرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ»^(١)، فما رأته مصيبة كان سبباً في دخولها الجنة، وهذا من لطف الله.

ولو كُشف الغطاء عن ألطاف الله وبرّه وحُسن صُنْعِهِ لعبده من حيث يعلم العبد ومن حيث لا يعلم؛ لَذَابَ قَلْبُهُ حُبًّا لَهُ، وشوقاً إليه، ولخَرَّ ساجداً شكراً على ألطافه وحُسن تديره سجدةً لا يرفع منها رأسه، كما ذكر ابن القيم رحمه الله تعالى^(٢).



(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٦٥٢)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٧٦).

(٢) ينظر: «طريق الهجرتين» لابن القيم (١ / ٣٨٩).



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الناظم:

حَفِيزٌ حَافِظٌ مُجِيبٌ شَافِي ١٥ مَوْلى وَلِيٌّ وَوَكِيلٌ كَافِي
مُعْطٍ جَوَادٌ أَكْرَمٌ مَنَانُ ١٦ وَرَازِقٌ رَزَاقٌ مُسْتَعَانُ
الْقَابِضُ الْبَاسِطُ وَهَّابٌ كَرِيمُ ١٧ فَتَّاحٌ يَا مُقِيتُ إِنَّكَ الْحَلِيمُ



الله سبحانه وتعالى هو الحافظ، والحفيظ، والمولى، والولي، والوكيل، والكافي؛ فهو الحافظ الحفيظ الذي يحفظ المؤمنين، ويحفظ أعمال عباده، ويحفظ الكون كله من أن يفنى قبل أوانه، ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا﴾ [يوسف: ٦٤]، ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ﴾ [هود: ٥٧].

قوله: «مَوْلى وَلِيٌّ»: هو المولى والولي؛ وهو بمعنى القريب، الولي: القُرب، فالمولى والولي: بمعنى القريب من عباده الذي يتولى جميع أمورهم؛ يتولى هدايتهم ونصرهم، ويتولى جميع شؤون خلقه.

قوله: «وَوَكِيلٌ»: الوكيل: هو الذي يوكله العبادُ أمورهم، ويكفيهم للقيام بمصالحهم ودفع الشرور عنهم، ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢].

قوله: «كَافِي»: الكافي: وهو الذي يعطي عباده كفايتهم ويكفيهم الشرور؛ ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ [الزمر: ٣٦].

ومن عِلْمٍ أَنَّ الله تعالى هو الحافظ الحفيظ المولى الولي الوكيل الكافي عبده وحده، كيف ترجو مخلوقاً لا يملك نفسه نفعاً ولا ضرراً؟! ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ ❶ له مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ❷ قُلْ أَغْيَرَ اللَّهُ

تَأْمُرُونِي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ [الزمر: ٦٢ - ٦٤]، المتصف بهذه الصفات هو المستحق للعبادة.

وهذه الأسماء الحسنى تُثمر للعبد عبادة هي من أجل العبادات: وهي عبادة التوكل، فإذا علمت أن الله هو الحافظ الحفيظ المولى الولي الوكيل الكافي أثمر ذلك في قلبك صدق الاعتماد عليه سبحانه وتعالى، وكمال التوكل عليه.

وفي القرآن سورةٌ برز فيها موضوع التوكل على الله تعالى هي سورة هود، قال الله تعالى عن عاد: ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِنْهَا فِي الْبِلَادِ﴾ [الفجر: ٨]، وأعطاهم قوةً عظيمة ﴿وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً﴾ [فصلت: ١٥]، ومع ذلك هود عليه السلام يقف أمامهم وحده ويتحداهم ويقول: ﴿إِنِّي أَشْهَدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ﴾ ﴿مِنْ دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظَرُونَ﴾ [هود: ٥٤ - ٥٥]، ما سرُّ هذه القوة؟ ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَّتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾ [هود: ٥٦ - ٥٧]، انظر كيف قامت هذه الأسماء الحسنى في قلبه، حتى قال بعض العلماء: إن آية هود عليه السلام هي كمال توكله على الله، وتحديه لهؤلاء الأشداء الأقوياء، وقد انصبغت سورة هود بالتوكل على الله تعالى؛ افتتحت بقاعدة التوكل؛ ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، وختمت بقوله تعالى: ﴿وَالَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ [هود: ١٢٣]، وسُميت باسم النبي الذي آتته كمال توكله.

ثم مع اعتماد القلب على الله تعالى فلا بُدَّ من بذل الأسباب؛ قال النبي صلى الله عليه وسلم: «اٰخِرُضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِزْ بِاللّٰهِ وَلَا تَعْجِزْ»^(١)، «اٰخِرُضْ عَلٰى مَا يَنْفَعُكَ»: هذا بذل الأسباب، «وَاسْتَعِزْ بِاللّٰهِ»: هذا الاعتماد على الله تعالى، «وَلَا تَعْجِزْ»: أي فيهما: في حرصك على ما ينفعك، وفي اعتمادك على الله تعالى.

قوله: «مُجِيبٌ»: من أسمائه تعالى: المجيب، ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١]، وكثيراً

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٦٤).

ما يقترن القرب مع الإجابة؛ ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]، «يُنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ»^(١)، الله سبحانه وتعالى هو المجيب الذي لا يردُّ من دعاءه، ولا يخيب من رجاءه، بل يُعطي السائلين سؤالهم، وهو أيضًا يُثيب العابدين ويأجرهم، فيجيب دعاء المسألة بإعطاء السائلين سؤالهم، ودعاء العبادة بإثابة العابدين وإعطائهم أجرهم، وإذا كان الله تعالى هو المُجيب؛ فما عليك إلا أن تدعوه وتلحَّ عليه، «إِنَّ رَبَّكُمْ تَبَارَكَ وَتَعَالَى حَيٌّ كَرِيمٌ، يَسْتَحْيِي مِنْ عَبْدِهِ إِذَا رَفَعَ يَدَيْهِ إِلَيْهِ، أَنْ يُرُدَّهُمَا صِفْرًا»^(٢)، وتأمل في هذا الموقف: كان سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه مُجاب الدعوة، شكاه بعض أهل الكوفة إلى عمر رضي الله عنه قالوا: «إِنَّ سَعْدًا لَا يُحْسِنُ يُصَلِّي»، حتى قال رجل في سعد: «إِنَّهُ لَا يَقْسِمُ بِالسَّوِيَّةِ، وَلَا يَعْدِلُ فِي الرَّعِيَّةِ»، فذكر سعد رضي الله عنه أنه كان يصلي بهم صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ عَبْدُكَ هَذَا كَاذِبًا، قَامَ رِيَاءً وَسُمْعَةً، فَأَطْلُ عُمُرَهُ، وَأَطْلُ فَقْرَهُ، وَعَرِّضْهُ بِالْفِتَنِ»، فرؤي هذا الرجل وقد سقط حاجباه على عينيه من الكبر، وهو يتعرَّض للجواري في الطرقات يغمزهن، فيُسأل عن حاله فيقول: «شَيْخٌ كَبِيرٌ مَفْثُونٌ، أَصَابَتْني دَعْوَةُ سَعْدٍ»^(٣)، وتلك المرأة التي خاصمت سعيد بن زيد في أرض، وهي أرض سعيد بن زيد لكنها ادَّعتها ظلمًا، قال: «اللَّهُمَّ إِنْ كَانَتْ كَاذِبَةً فَعَمَّ بَصَرُهَا، وَاقْتُلْهَا فِي أَرْضِهَا»^(٤)، فعميت وكانت تمشي في أرضها فوقعت في بئر وماتت، أصابتها دعوتُهُ.

قد يقول قائل: أنا أدعو الله كثيرًا في أمر ولم أرَ الإجابة؟ فالجواب: لا تعجل، قال النبي

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١١٤٥)، ومسلم في «الصحيح» (٧٥٨).

(٢) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٤٨٨)، والترمذي في «الجامع» (٣٥٥٦)، وابن ماجه (٣٨٦٥)،

وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود» (٢٢٦ / ٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٥٥) بنحوه.

(٤) أخرجه مسلم في «الصحيح» (١٦١٠).

صلى الله عليه وسلم: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَعْجَلْ، يَقُولُ: دَعَوْتُ فَلَمْ يُسْتَجَبْ لِي»^(١)، وأيضًا لا تَظُنَّ أَنَّ اللهَ يجيبك كما تريد أنت، فالله سبحانه وتعالى أعلم بك من نفسك، وأرحم بك من نفسك، فهو سبحانه يُجيبك بما يصلحك؛ لذلك النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَدْعُو بِدَعْوَةٍ لَيْسَ فِيهَا إِيْمٌ، وَلَا قَطِيعَةٌ رَحِمَ، إِلَّا أَعْطَاهُ اللَّهُ بِهَا إِحْدَى ثَلَاثٍ، إِمَّا أَنْ تُعَجَّلَ لَهُ دَعْوَتُهُ، وَإِمَّا أَنْ يَدَّخِرَهَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ، وَإِمَّا أَنْ يَصْرِفَ عَنْهُ مِنَ الشَّوْءِ مِثْلَهَا»^(٢)، إذا أنت لن ترفع يديك وتدعو إلا وأنت الرابع الفائز، لذلك قال عمر رضي الله عنه: «إِنِّي لَا أَحْمِلُ هَمَّ الْإِجَابَةِ، وَإِنَّمَا أَحْمِلُ هَمَّ الدَّعَاءِ، فَإِذَا أُلْهِمْتُ الدَّعَاءَ فَإِنَّ الْإِجَابَةَ مَعَهُ»^(٣)، أحمل همَّ أن أدعو بقلب خاضع موقن، وأمَّا الإجابة فهي حاصلة دائمًا.

ثم هنا مسألة: وهي أنه قد تكون للعبد حاجة فيكثر من الدعاء، فيفتح الله تعالى له من لذيذ مُنَاجَاتِهِ وحلاوة طاعته وحقائق الإيمان ما يُنسيه حاجته، فالدعاء يجمع معاني العبودية؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «الدَّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ»^(٤)، قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «وقال بعض الشيوخ: إنه ليكون لي إلى الله حاجة فأدعوه فيفتح لي من لذيذ معرفته وحلاوة مناجاته ما لا أحبُّ معه أن يُعَجَّلَ قضاء حاجتي خشية أن تنصرف نفسي عن ذلك»^(٥).

قوله: «شَافِي»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الشَّافِي. الصحة نعمة عظيمة؛ قال صلى الله عليه وسلم: «نِعْمَتَانِ مَغْبُونٌ فِيهِمَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصَّحَّةُ وَالْفَرَاغُ»^(٦)، وقال صلى الله عليه

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٣٤٠)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٣٥).

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٣٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٧٨).

(٣) ينظر: «اقتضاء الصراط المستقيم» (٢/ ٢٢٩)، و«الداء والدواء» (ص ٢٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» لابن أبي العز (٢/ ٦٨٠).

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٤٧٩)، والترمذي في «الجامع» (٢٩٦٩)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٢٨)، وصححه الألباني إسناده في «صحيح سنن أبي داود» (٥/ ٢١٩).

(٥) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١٠/ ٣٣٣).

(٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٤١٢).

وسلم: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرِّهِ مُعَافَى فِي جَسَدِهِ عِنْدَهُ قُوْتُ يَوْمِهِ فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا»^(١)، وقال صلى الله عليه وسلم: «اسْأَلُوا اللَّهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ، فَإِنْ أَحَدًا لَمْ يُعْطَ بَعْدَ الْيَقِينِ خَيْرًا مِنَ الْعَافِيَةِ»^(٢).

واسم الله تعالى الشافي يدل على أنه هو المستحق للعبادة، انظر كيف جاءت هذه الآية: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠] في سياق صفات الرب المستحق للعبادة: كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه: ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾^(٧٧) الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ^(٧٨) وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ^(٧٩) وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ^(٨٠) وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ^(٨١) وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ^(٨٢) [الشعراء: ٧٧-٨٢]، فاسم الله تعالى الشافي يدل على أنه هو المعبود الحق سبحانه وتعالى.

من التَّعَبُّدِ لله تعالى باسمه الشافي: أن تتعلق القلوب به وحده، فالأطباء والأدوية واللّقاحات مجرد أسباب، والله جل وعلا هو الشافي وحده، لذلك إذا انعدم السبب مثلاً فقال الطبيب: هذا المرض لا علاج له، فينبغي ألا يجزع العبد وألا يقلق، لماذا؟ لأنه في الحقيقة إنّما فقد أسباباً ضعيفة ولم يفقد السبب الأعظم: وهو دعاء الشافي سبحانه وتعالى، فالله تعالى بيده كل شيء، إذا قال لشيء: كُنْ؛ كان، ماذا يُساوي هذا المرض أمام قدرة الله تعالى! الله تعالى هو الشافي، فبهذا تهدأ النفوس، وتطمئن القلوب.

وانظر إلى تعليق النبي صلى الله عليه وسلم قلوب الصحابة بالشافي وحده؛ في الحديث عن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ إِذَا اشْتَكَى أَحَدٌ مِنْ أَهْلِهِ يَقْرَأُ عَلَيْهِ يَمْسَحُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى وَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ أَذْهِبِ الْبَاسَ، اشْفِهِ وَأَنْتَ الشَّافِي، لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ، شِفَاءَ لَا يُغَادِرُ سَقَمًا»^(٣)، «لَا شِفَاءَ إِلَّا شِفَاؤُكَ» هذا يُرْسَخُ في القلوب أن الله تعالى

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٣٤٦)، وابن ماجه في «السنن» (٤١٤١)، وحسنه الألباني لغيره في «السلسلة الصحيحة» (٤٠٨ / ٥).

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٥٥٨) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣ / ٣٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٧٤٣)، ومسلم في «الصحيح» (٢١٩١).

هو وحده الشافي، وقوله صلى الله عليه وسلم: «أَنْتَ الشَّافِي»، «أَنْتَ»: ضمير، والضمير من المعارف، و«الشَّافِي» مُحَلَّى بِأَلٍ، والمحَلَّى بِأَلٍ من المعارف كذلك، وتعريف الجزئين من طرق القصر، أي لا شافي إلا أنت، وكذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ عَادَ مَرِيضًا، لَمْ يَحْضُرْ أَجَلُهُ فَقَالَ عِنْدَهُ سَبْعَ مَرَارٍ: أَسْأَلُ اللَّهَ الْعَظِيمَ رَبَّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَشْفِيكَ، إِلَّا عَافَاهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ الْمَرَضِ»^(١)، وقال عثمان بن أبي العاصي رضي الله عنه: «أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَبِي وَجَعٌ كَأَذَى يَهْلِكُنِي، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: امْسَحْ بِيَمِينِكَ سَبْعَ مَرَّاتٍ وَقُلْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَازِرُ، قَالَ: فَأَذْهَبَ اللَّهُ مَا بِي مِنْ وَجَعٍ، فَلَمْ أَزَلْ أَمُرُّ بِهِ أَهْلِي وَغَيْرَهُمْ»^(٢)، فهذا تعليق من النبي صلى الله عليه وسلم لقلوب الصحابة وقلوب أمته كلها بالشافي وحده.

والقرآن الكريم أعظم سبب للشفاء؛ ﴿وَنُزِّلَ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء: ٨٢]، وقد يصاب الإنسان بمرض فيكون أول ما يسعى إليه الذهاب إلى الأسباب المادية، وقد يكتفي بها وينسى أعظم سبب: وهو كلام الله تعالى، ودعاء الشافي، وهذا من ضعف اليقين بالله.

تأمل في قوة كلام الله وتأثيره.. لما لِدَغَ سَيِّدُ قَوْمٍ وَطَلَبُوا لَهُ كُلَّ دَوَاءٍ وَلَمْ يَنْفَعِهِ أَيُّ دَوَاءٍ، قرأ أبو سعيد الخدري رضي الله عنه عليه سورة الفاتحة، جعل يكررها، قال: «فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ، فَانْطَلَقَ يَمْشِي وَمَا بِهِ قَلْبَةٌ»^(٣)، فسورة الفاتحة هي الشافية والكافية، كذلك المعوذات، وآية الكرسي، والقرآن كله شفاء ورحمة، ومع التداوي بالقرآن والدعاء ينبغي استعمال الأسباب المشروعة، فهذا من بذل الأسباب، في الحديث: «أَنَّ بَعْضَ الْأَعْرَابِ سَأَلُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا نَتَدَاوَى؟ فَقَالَ: نَعَمْ، يَا عِبَادَ اللَّهِ تَدَاوُوا؛ فَإِنَّ اللَّهَ

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣١٠٦)، والترمذي في «الجامع» (٢٠٨٣) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٦١).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٢٠٢)، والترمذي في «الجامع» (٢٠٨٠) واللفظ له.

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٢٧٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٠١).

لِمَ يُنَزَّلُ دَاءٌ إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ دَوَاءً عِلْمُهُ مِنْ عِلْمِهِ، وَجِهَلُهُ مِنْ جِهَلِهِ؛ غَيْرَ دَاءٍ وَاحِدٍ، قَالُوا: مَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: الْهَرَمُ^(١)، وهذا الحديث فيه تنشيط لنفس المريض؛ فإذا عرف المريض أنه لا يوجد مرض إلا وله شفاء فإنه تَشَطَّ نفسه، فلا تظنُّ أنَّ هناك مرضًا ليس له دواء في الدنيا، ثم هو تنشيط لنفس الطبيب أيضًا؛ فإذا عرف الطبيب أنه ما من مرضٍ إلا وله دواء؛ فإنه سيسعى للبحث عن الدواء، والنبى صلى الله عليه وسلم أرشد أُمَّتَهُ إلى بعض الأدوية النافعة؛ فقال: «إِنَّ فِي الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلَّا السَّامَ»^(٢)، ولما أتاه رجل وقال: «أَخِي يَشْتَكِي بَطْنُهُ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَى الثَّانِيَةَ، فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «اسْقِهِ عَسَلًا» ثُمَّ أَتَاهُ فَقَالَ: قَدْ فَعَلْتُ؟ فَقَالَ: «صَدَقَ اللَّهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ، اسْقِهِ عَسَلًا» فَسَقَاهُ فَبَرَأَ»، قال الله تعالى في العسل: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: «عَلَيْكُمْ بِهِذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ»^(٣)، وقال: «إِنَّ أَمَثَلَ مَا تَدَاوَيْتُمْ بِهِ الْحِجَامَةُ، وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ»^(٤)، وقال: «الشِّفَاءُ فِي ثَلَاثَةٍ: شَرْبَةُ عَسَلٍ، وَشَرْطَةُ مَخْجَمٍ، وَكَيْتَةُ نَارٍ، وَأَنْتَهَى أَمْتِي عَنِ الْكَيِّ»^(٥)، وفي المقابل: يُحَذَّرُ مِمَّا يُدَّعَى أَنَّهُ من الأسباب وليس بسبب، وإنما هو من الأسباب الموهومة التي ليست بسبب في الحقيقة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الرُّقَى، وَالتَّمَائِمَ، وَالتَّوَلَّةَ شِرْكٌ»^(٦)، بعض الناس يتعلَّقُ بأسباب موهومة؛ مثل: الخيوط، والخَرَزَات، يقول: هذه تقينى من الحسد والعين، وفي العصر الحديث كثرت صور

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٨٥٥)، والترمذي في «الجامع» (٢٠٣٨)، وابن ماجه في «السنن»

(٣٤٣٦)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص١٢٣).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٦٨٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢١٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٧١٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢١٤).

(٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٦٩٦)، ومسلم في «الصحيح» (١٥٧٧).

(٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٦٨٠)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٠٥).

(٦) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٨٨٣) وابن ماجه في «السنن» (٣٥٣٠). وهو في «السلسلة الصحيحة»

هذه الأسباب الموهومة -نسأل الله العافية-: تجد أن منهم من يزعم أنه تخرج طاقة من يده، إذا جاء المريض يضع يده على بطن المريض ويزعم أنه تخرج طاقة إيجابية، وأنه يأخذ الطاقة السلبية من المريض، وهذا تعاون مع الشياطين والجن، كله من الخزعبلات، وبعضهم يقول: هناك أحجار تضعها عندك في البيت تُخرج ذبذبات، هذا الحجر يمنع المشاكل الزوجية، وهذا الحجر إذا علّقته على صدرك كان سبباً لانسراح الصدر، وإبعاد الضيق والهموم، وهذا ترويع للشرك، واستخفاف بعقول الناس، وهذا تُجرى له دورات وتلقى فيه محاضرات نسأل الله العافية.

إذا حصل للإنسان مرض وتعالج وبذل الأسباب، ولم يحصل له الشفاء؛ فالله تعالى أعلم بمصلحته لعلّ الصّحّة تفتّنه، وفي البلاء رفع للدرجات وتكفير للسيئات، قال صلى الله عليه وسلم: «يَوَدُّ أَهْلُ الْعَافِيَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يُعْطَى أَهْلُ الْبَلَاءِ الثَّوَابَ لَوْ أَنَّ جُلُودَهُمْ كَانَتْ قُرَصَتْ فِي الدُّنْيَا بِالْمَقَارِضِ»^(١) فسلم أمرك الله، فبذلك يطمئن قلبك.

وأعظم ما يتعلق باسم الله الشافي: أن نستحضر أن الله تعالى هو الشافي لأعراض القلوب التي هي أخطر وأشد من أمراض الأبدان، فمرض القلب يضر الإنسان في دينه، ودين الإنسان رأس ماله؛ «يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾» [الشعراء: ٨٨-٨٩]، فهو سبب النّجاة، فأول وأعظم ما ينبغي أن نستشعره في اسم الله الشافي: أن يشفي قلوبنا من أمراضها، وأن يُطَيِّبَهَا وَيُحَلِّبَهَا بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَى، نسأل الله أن يشفي قلوبنا وقلوب المسلمين، وأبداننا وأبدان المسلمين.

قوله: «مُعْطٍ جَوَادٌ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: المعطي والجواد: الجواد: كثير العطاء، فالله تعالى عطاؤه واسع؛ «كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ ﴿٢٠﴾» [الإسراء: ٢٠]، نمّد المسلمين والكافرين من عطاء ربك، «وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾» [الإسراء: ٢٠]، ثم نبّه إلى العطاء الحقيقي: «انْظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ ﴿٢١﴾» [الإسراء: ٢١]؛ أي في الدنيا،

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٠٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٣٣٠).

﴿وَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الإسراء: ٢١-٢٢]، فالعطاء الحقيقي هو عطاء الإيمان الذي يكون به التفاضل عند الله تعالى، قال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعاً: «إن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه»^(١)، وهذا أعظم عطاء، ومنه: العلم النافع؛ قال صلى الله عليه وسلم: «مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَاللَّهُ الْمُعْطِي وَأَنَا الْقَاسِمُ»^(٢)، فالله تعالى هو المُعْطِي، وعَلَّمَنَا النبي صلى الله عليه وسلم أن نقول في دُبُرِ كُلِّ صلاة: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لَا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلَا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، وَلَا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ»^(٣)، إذا قَدَّرَ الله أن يُعْطِيكَ نعمة فلا بد أن تحصل، ولو اجتمع الخلق كلهم على أن يصرفوها عنك ما قدروا، ولو قَدَّرَ الله منع شيء عن عبده؛ فإنه لو بذل كل جهده للوصول إليه فلن يصل إليه، إذن ينبغي ألا تتعلق القلوب بغير الله سبحانه وتعالى.

قوله: «أَكْرَم، كَرِيم»: من أسمائه تعالى: الأكرم والكريم، وهو المتصف بأعظم الكمالات؛ فالأكرم: الذي الكرم صفة ذاته، والكريم: في أفعاله، فهو كثير العطاء والخير والإحسان، من كرمه: أنه يتدبَّر العبد بالنَّوَالِ قبل السؤال، فمن أعظم كرم الله علينا: أن كتبنا في اللوح المحفوظ مُسْلِمِينَ، وهذا ابتداءً بالنَّوَالِ قبل السؤال، ومن أعظم كرمه: العلم النافع؛ ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ٣-٥]، والقرآن الكريم هو من كرم الله ورحمته بنا؛ ﴿إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ ۝ فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ ۝ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٩]، ومن كرمه تعالى: أنه أحسن خلق عباده؛ ﴿يَا أَيُّهَا

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٧٤٦) مرفوعاً، وصَوَّبَ الدارقطني في «العلل» (٥ / ٢٦٩) وقفه، والموقوف أخرجه أبو داود في «الزهد» (١٤٧)، أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣٧٤٦).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣١١٦)، ومسلم في «الصحيح» (١٠٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٨٤٤)، ومسلم في «الصحيح» (٥٩٣).

الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ [الانفطار: ٦ - ٨]، كيف بعد ذلك تعصيه وهو الكريم الذي أكرمك؟! ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، ﴿وَاتَّأَكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، ومع هذه الكرامات كلها تستشعر أن أعظم كرامة: أن أكرمنا الله بتوحيده، وجعلنا مسلمين؛ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]، الذي لا يسجد لله، ولا يخضع له مُهانٌ عند الله، شاذٌّ عن الكون كله، ﴿وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨]؛ فالكرامة كلُّ الكرامة في توحيد الله.

قوله: «مَنَانٌ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: المنان، والمِنَّةُ: العطيّة العظيمة، لذلك تجد أن هذا الفعل يُذكر مع النعم العظيمة؛ ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [الحجرات: ١٧]، ﴿فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ﴾ [الطور: ٢٧]، فالمنان: هو الذي ينعم على عباده بالنعم العظيمة، وهو كذلك الذي يُذكر عباده بنعمه ويعدّها عليهم؛ ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [الحجرات: ١٧]، وانظر كيف أن أهل الجنة يتذكرون هذه المِنَّة العظيمة من الله تعالى عليهم بالهداية؛ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٥١﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٥٢﴾﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨]، دخل القاسم بن محمد بن أبي بكر رحمه الله تعالى على عمّته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها في وقت الضحى فوجدها تصلي، وإذا بها تقرأ هذه الآيات: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٥١﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٥٢﴾﴾ [الطور: ٢٥ - ٢٨]، جعلت تردّها وتبكي، فانصرف القاسم إلى حاجة له في السوق، ولما فرغ من حاجته ورجع إليها وإذا بها تكرر هذه

الآيات وتبكي^(١)، فالتفكر في هذه النعمة يكسر قلوب المؤمنين، فيرجون الله ويبكون.

ومن أسمائه سبحانه وتعالى: الرَّازِق، والرَّزَاق، والمستعان، والوهاب.

قوله: «وَرَازِقٌ رَزَاقٌ»: الذي الرزق صفته.

قوله: «وَهَابٌ»: كثير الهبات.

قوله: «مُسْتَعَانٌ»: من أسمائه: المستعان، ﴿وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾

[الأنبياء: ١١٢]، قال الله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا

وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [هود: ٦]، منذ أن كان جنيناً في بطن أمه والله تعالى يسوق إليه

رزقه، هذه الحيوانات والنباتات، وهذه الأسماك في أعماق البحار، كلُّها يرزقها الله، ﴿وَكَايِّنَ

مِنْ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [العنكبوت: ٦٠].

وإذا تيقن المسلم أن الله تعالى هو الرّازق، الرّزّاق، الوهاب، المقيت، المستعان؛ عبد الله

تعالى وحده، الرّازق: هو المستحق للعبادة؛ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ

خَالِقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٣]، وفي القرآن

سورة مقصودها تحرير القلوب من التعلّق بأسباب الرزق هي سورة الذاريات، هذه السورة

حررت القلوب من التعلّق بأسباب الرزق، وعلّقت القلوب بالله وحده، أقسم الله تعالى في

أولها بأسباب الرزق: ﴿الذَّارِيَاتِ ذُرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسَّمَاتِ

أَمْرًا ۝٤﴾ [الذَّارِيَاتِ: ١-٤]، وفي آياتها: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ۝٢٢ فَوَرَبَّ السَّمَاءِ

وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ ۝٢٣﴾ [الذَّارِيَاتِ: ٢٢-٢٣]، سمع أعرابي رجلاً يقرأ

هذه الآية فقال: «من أغضب الجليل جل جلاله حتى أقسم فقال: ﴿فَوَرَبَّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ

لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣]، ﴿إِنَّهُ لَحَقُّ مِثْلٍ مَّا أَنْتُمْ تَنْطِفُونَ﴾ [الذاريات:

٢٣]: أي كما أنك لا تشك في نطقك؛ فإن رزقك سيصلك لا محالة، قال تعالى في آخر السورة:

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٦١ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطِيعُونِ ۝٦٢﴾ [٥٧]

(١) أخرجه الثعلبي في «التفسير» (٩/ ١٣٠).

اللَّهُ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

إذا علمت بأن الله تعالى هو الرزاق فهذا لا يعني عدم بذل الأسباب لتحصيل الرزق، بل ابذل أسباب الرزق واستعن بالله فهو المستعان، ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا﴾ [تبارك: ١٥]، إذا كان رزقك في نواحي الأرض وجوانبها فامشِ إليه، لكن لا يتعلق قلبك إلا بالله، لاحظ قوله: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ﴾ [تبارك: ١٥]، هو رزق الله، فحين تطلب رزقك وتبذل الأسباب المشروعة لا يتعلق قلبك بغيره.

قوله: «يَا مُقِيتُ»: من أسمائه أيضًا: الْمُقِيتُ؛ الذي يوصل الأقوات والأرزاق إلى عباده، واسم الله المقيت ذكر في موضع واحد من القرآن في قوله تعالى: ﴿مَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعُ شَفَاعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقِيتًا﴾ [النساء: ٨٥]، هو الذي يوصل القوت والخير والرزق إلى عباده، فعلينا أن نشكر الله تعالى على رزقه لنا.

قوله: «الْقَابِضُ الْبَاسِطُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: القابض والباسط، يقبض رزقه عمن يشاء، ويبسطه لمن يشاء، والحياة كلها بين عطاء ومنع، وقبض وبسط، وانظر كيف كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلق قلوب أصحابه باسم الله القابض والباسط؛ يقول أنس رضي الله عنه: «غَلَا السَّعْرُ بِالْمَدِينَةِ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، لَوْ سَعَرَتْ لَنَا؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْخَالِقُ الْقَابِضُ الْبَاسِطُ الرَّازِقُ الْمُسَعِّرُ، وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَلْقَى اللَّهَ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يُطَالِبُنِي بِمَظْلَمَةٍ فِي دَمٍ وَلَا مَالٍ»^(١)، وترى أثر اسم الله: القابض، والباسط، في كل شيء، ﴿وَاللَّهُ يَفْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، تراه في مالك، تراه في صحتك، تراه في عملك، تراه في إيمانك، في خشوعك، في علمك، في يقينك، في محبتك لله، وفي شوقك إليه، والقبض والبسط درجات لا نهاية لها، فإذا أردت البسط فعليك أن تتقي

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٤٥١)، والترمذي في «الجامع» (١٣١٤)، وابن ماجه في «السنن»

(٢٢٠٠)، وصححه الألباني كما في «صحيح الجامع الصغير» (٣٧٧ / ١).

الله؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُبْسَطَ لَهُ فِي رِزْقِهِ، وَيُنْسَأَ لَهُ فِي أَثَرِهِ، فَلْيَصِلْ رَحْمَةً»^(١)، ولما قيل لبعضهم: عَلَتِ الْأَسْعَارُ؟ قال: «أَرْخَصُوهَا بِالتَّقْوَى»، فإذا اتَّقَيْنَا الله تعالى بسط الله علينا من بركاته؛ ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

قوله: «الْوَهَّابُ»: سبق مع الرَّازِقِ.

قوله: «كَرِيمٌ»: سبق مع الْأَكْرَمِ.

قوله: «فَتَّاحٌ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الْفَتَّاحُ، من الفتح: وهو الْحُكْم والقضاء، فهو الحاكم بين عباده؛ ﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَهُوَ الْفَتَّاحُ الْعَلِيمُ﴾ [سبأ: ٢٦]؛ أي يقضي ويحكم بيننا، وَيُيَسِّنُ الْمُحِقَّ من الْمُبْطِلِ، ويأتي الفتح بمعنى النصر، فهو الناصر لأوليائه، ﴿وَاسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٥]؛ أي استنصرت الرُّسُلَ رَبَّهَا على قومها، ومنه: «لَأُعْطِينَ الرَّايَةَ غَدًا رَجُلًا يُحِبُّ اللهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللهُ عَلَيْهِ»^(٢)؛ أي ينصره الله، والفتح أيضًا ضِدُّ الْعَلَقِ، فهو سبحانه الفاتح لأبواب الهداية والرزق؛ ﴿مَا يَفْتَحُ اللهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ [فاطر: ٢]، فهو الذي يفتح على عبده من العلوم الإيمانية، والمعارف الربَّانية، والأنوار الإلهية ما لا يخطر بباله؛ لذلك تجد بعض العلماء كانوا يشعرون بهذا فيسمُّون كتبهم بما يدل على فتح الله لهم؛ من ذلك: الحافظ ابن حَجَرٍ سَمَّى كتابه لشرح البخاري «فتح الباري»، وقبله الحافظ ابن رجب، وسمَّى الشوكاني كتابه في التفسير «فتح القدير»، و«فتح الكريم المنان» للشيخ ابن سَعْدِي، وأيضًا «فتح المجيد شرح كتاب التوحيد»، فهذا العلم فتوحات من الله تعالى على العلماء، وابن تيمية -رحمه الله تعالى- لما سُجِنَ في سِجْنِ القلعة فتح الله عليه من معاني القرآن وأبواب العلم ما كان يتمناه

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٥٩٨٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٥٥٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٩٧٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٤٠٧).

كثيرٌ من العلماء، حتى قال: «وقد ندمت على تضييع أكثر أوقاتي في غير القرآن»^(١)، مع أنه خدم القرآن الكريم، وله كلامٌ كثير في التفسير، وانظر كيف يشعر بفتح الله تعالى في رسالته التي كتبها لأصحابه ييسرهم بحسن حاله وهو في السجن؛ قال: «بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]، والذي أعرفُّ به الجماعة أحسن الله إليهم في الدنيا وفي الآخرة، وأتمَّ عليهم نعمته الظاهرة والباطنة: فإنِّي -والله العظيم الذي لا إله إلا هو- في نِعَمٍ من الله ما رأيت مثلاً في عمري كلُّه، وقد فتح الله سبحانه وتعالى من أبواب فضله ونعمته وخزائن جوده ورحمته ما لم يكن بالبال، ولا يدور في الخيال...»^(٢).

وهذه الفتوحات تحتاج إلى مجاهدة نفس حتى يصل العبد إليها، فالهداية تحتاج إلى جهاد نفسٍ على تعلُّم العلم النافع، والعمل الصالح؛ قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]، بذلك يفتح الله تعالى لك أبواب هدايته ورحمته. ومن معنى اسم الله الفَتَّاح: أنه يفتح لك أبواب الرزق، ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنْزِلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ﴾ [الحجر: ٢١]، فهو الفاتح الذي يفتح لك الرزق الحلال، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢-٣]، فهو الذي يفتح باب الشفاء، باب الزواج، باب الذرية، باب العمل والوظيفة، كلُّها يفتحها الله تعالى وحده، والفتَّاح الذي ينصر عباده، فهو الذي يفتح باب النصر للمسلمين، في هذا الواقع الأليم الذي نعيشه نسأل الله تعالى أن يفتح للمستضعفين، وأن ينصرهم على عدونا وعدوهم.

وانظر كيف تعبَّد نبيُّ الله نوح بهذا الاسم: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّ قَوْمِي كَذَّبُونِ ۖ فَافْتَحْ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَتْحًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١١٧-١١٨]، وفتح الله تعالى على نبيِّنا وأصحابه أبواب النصر والرحمة لما استجابوا في صلح الحديبية؛ ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [الفتح: ١]، ثم فتح لهم الفتح الأكبر فتح مكة؛ ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ

(١) ينظر: «ذيل طبقات الحنابلة» لابن رجب (٤/٥١٩).

(٢) ينظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (٣٠/٢٨).

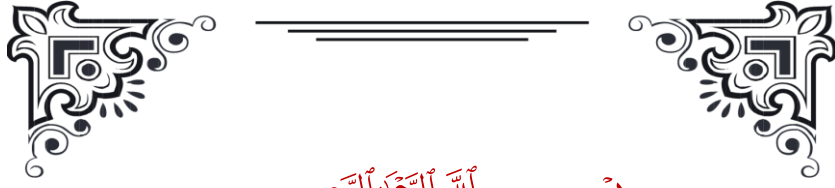
يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ﴿٢٠﴾ [النصر: ١، ٢].

ومن التَّعَبُّدِ لله تعالى باسمه الفَتَّاح: أن يحرص العبد على أن يكون مفتاحًا للخير، كما أن الله تعالى هو الفَتَّاح، فإنه يحب لعبده أن يكون فاتحًا للخيرات وأبوابها، فيحرص العبد على أن يكون سببًا للهداية وللعلم النافع في قلوب العباد، نسأل الله تعالى أن يجعلنا مفاتيح للخير، مغاليق للشر.

قوله: «يَا مُقَيِّتُ»: المُقَيِّت سبق مع الرَّازِق.

قوله: «إِنَّكَ الْحَلِيمُ»: الحليم قريب من الأسماء المذكورة بعده؛ الْحَيُّ، وَالسَّتِيرُ، وَالْغَافِرُ، وَالْغَفَّارُ، وَالْغَفُورُ، وَالْعَفُو، وَالتَّوَّابُ؛ لذا سيأتي الكلام عنه معها إن شاء الله تعالى.





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الناظم:

هُوَ الْحَيِّيُّ وَهُوَ السَّتِيرُ ١٨ الْغَافِرُ الْغَفَّارُ وَالْغَفُورُ
عَفُوًّا تَوَّابًا يَا شَكُورُ ١٩ وَدُودُ يَا شَاكِرُ يَا نَصِيرُ
رُحْمَاكَ يَا حَسِيبُ يَا مُقَدِّمُ ٢٠ مُؤَخَّرُ دَيَّانُ أَنْتَ الْحَكَمُ



قوله: «الْحَيِّيُّ»: من أسمائه: الْحَيِّيُّ، وقد تقدم اسم الله: الْحَيِّيُّ، لكن الناظم أعاد ذكره هنا لإقامة البيت، ومن محاسن شرح الناظم ومتنه المنشور - وفقه الله تعالى - : أنه يكرر الاسم في المواضع التي يصلح لها الاسم؛ فمثلاً: اسم الله الْجَبَّارُ ذكره في الأسماء التي تدل على العلو، وفي الأسماء التي تدل على القوة والقهر، وفي الأسماء التي تدل على الحفظ، أمّا في النظم فإنه لا يكرر الاسم؛ لأنَّ المطلوب فيه الاختصار، غير اسم الله الْحَيِّيُّ فإنه اضطرَّ لتكراره هنا، وقد سبق الكلام عنه.

قوله: «السَّتِيرُ»: من أسمائه الحسنى: السَّتِيرُ، وفي ضبطه قولان عند العلماء قيل: (سَتِير) بوزن رَحِيم، وقيل: (سِتِير) بوزن صَدِيق، وتخفيفُ تاءٍ (سَتِير) هو الذي قرره كثير من أهل العلم كابن الأثير في «النهاية»^(١) وعنه جماعة من اللغويين كصاحب «اللسان»^(٢)

(١) ينظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» لابن الأثير (٢/ ٣٤١) و«جامع الأصول» له أيضاً (٧/ ٣٠١).

(٢) ينظر: «لسان العرب» لابن منظور (٤/ ٣٤٣).

و«التاج»^(١) في آخرين، وقال السيوطي في حاشيته على «سنن النسائي»^(٢): «بوزن رحيم»، ونَقَلَ كلام ابن الأثير. ومنهم ابن القيم في «النونية»^(٣) فإنه قال:

وَهُوَ الْحَيِّيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدَهُ عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِضْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ

والوزن لا يستقيم إلا بتخفيف التاء، فلو شددت لم يستقم الوزن. وهذا من فوائد علم العروض أنه يهديك إلى الضبط الصحيح لبعض الأسماء التي قد يكون في ضبطها تردد، مثلاً قال صاحب «إضاءة الدُّجَّة»::

يَقُولُ أَحْمَدُ الْفَقِيرُ الْمُقَرِّي الْمَغْرِبِيُّ الْمَالِكِيُّ الْأَشْعَرِي

هكذا يقول، قال الزركلي في ترجمته: «وهذه حجة في ضبط لفظ المقري»^(٤) يعني أنه المقري وليس المقري، فلو قلت: المقري لم يستقم الوزن.

وممن قرر أن (سَتِيرًا) بالتخفيف الشيخ ابن عثيمين رحمه الله تعالى^(٥) والشيخ محمد علي آدم الإثيوبي الولوي في كتابه «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى»^(٦).

وهذا الوزن في أسماء الله كثير مثل: سَمِيعٌ وَبَصِيرٌ وَعَلِيمٌ وَحَلِيمٌ وَقَدِيرٌ وَرَحِيمٌ، كُلُّهَا على وزن فَعِيل، وهذا هو الذي جاء عن العرب في شعرهم (سَتِير) بوزن سَمِيع.

(١) ينظر: «تاج العروس من جواهر القاموس» للزبيدي (١١ / ٥٠٢).

(٢) ينظر: «حاشية السيوطي على النسائي» (١ / ٢٠٠).

(٣) ينظر: «الكافية الشافية» لابن القيم (٣ / ٧١٦).

(٤) ينظر: الأعلام (١ / ٢٣٧).

(٥) https://youtu.be/oJUsKWYwHVA?si=QmLZgXicpU_w0pp0

(٦) ينظر: «ذخيرة العقبى في شرح المجتبى» للشيخ محمد بن علي بن آدم الإثيوبي (٥ / ٥١٨).

ومنه قول شبيب بن البرصاء وهو من شعراء الدولة الأموية فهو من عصر الاحتجاج توفي سنة ١٠٠هـ، قال (١):

إِذَا قِيلَتِ الْعَوْرَاءُ وَلَيْتُ سَمِعَهَا سَوَايَ وَلَمْ أَسْمَعْ بِهَا مَا دَبِيرُهَا
وَحَاجَةٌ نَفْسٍ قَدْ بَلَغَتْ وَحَاجَةٌ تَرَكْتُ إِذَا مَا النَّفْسُ شَحَّ ضَمِيرُهَا
حَيَاءٌ وَصَبْرًا فِي الْمَوَاطِنِ إِنِّي حَيِّي لَدَى أَمْثَالِ تِلْكَ سَتِيرُهَا

الشاهد في قوله: «ستيرها»، وأما وزن «فَعِيل» فقليل في كلام العرب يُعَوِّزُه السماع عنهم، فإثباته يحتاج إلى نقل يبين عنهم، وليس له نظير في أسماء الله الحسنى، نعم صَبَطَه بعض أهل العلم بالتشديد لكن يُعَوِّزُه السماع كما تقدم، لذا قال الشيخ الإثيوبي في «شرح النسائي»: «وضبطه بعضهم كسَجِّين بكسر فتشديد، ولا أعلم صحته؛ لأن أهل اللغة ما أثبتوه فتبصَّر» (٢).

وحاصل ما تقدم وخلاصته ما في هذه الأبيات:

تَخْفِيفُ تَا قَوْلِكَ يَا «سَتِيرُ» هُوَ الَّذِي قَرَّرَهُ الْكَثِيرُ
كَابُنِ الْأَثِيرِ فِي النَّهْيَةِ اعْلَمْ وَاَنْظُرُهُ فِي نُونِيَّةِ ابْنِ الْقَيْمِ
وَإِبْنُ عُثَيْمِينَ لَشَدِّ التَّاءِ أَبَى وَالْوَلَوِي فِي شَرْحِهِ لِلْمُجْتَبَى
وَذَاكَ فِي أَسْمَائِهِ كَثِيرُ مَثَلُ سَمِيعٍ وَكَذَا بَصِيرُ
وَهُوَ الَّذِي جَاءَ عَنِ الْعُرْبِ الْأَوَّلِ فَخُذْ بِهِ وَلَا تُبَالِ مَنْ عَذَلُ
وَوَزَنُ فَعِيلٍ لَدَى مَنْ قَدْ طَلَبَ يُعَوِّزُهُ سَمَاعُهُ عَنِ الْعَرَبِ
فَيَا سَتِيرُ اسْتُرْ بِهِذَا أَخْتِمُ نَقْلِي وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ

«نَقْلِي»: إشارة إلى أنه كَلَّه منقول من أهل العلم، وأبيات شريك بن برصاء استفدتها من

(١) ينظر: «الأغاني» (١٢ / ٣٢١).

(٢) ينظر: «ذخيرة العقبي في شرح المجتبى» للشيخ محمد بن علي بن آدم الإثيوبي (٥ / ٥١٨).

تقرير الشيخ حبيب الواضحى وفقه الله وجزاه خيراً لهذه المسألة، أفادني به الشيخ: محمد المحضار أدام الله نفعه، وأجرى الخير على يديه.

السَّيِّرُ: الذي يستر عباده ولا يفضحهم، يُظهر الجميل، ويستر القبيح، وقد ورد اسم الله السَّيِّر في حديث: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَيِّي سَيِّرٌ يُحِبُّ الْحَيَاءَ وَالسِّرَّ**»^(١)، لذلك على المسلم إذا عصى الله تعالى أن يستر على نفسه؛ فإن هذا أدنى لعفو الله تعالى، قال النبي صلى الله عليه وسلم: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافَى إِلَّا الْمُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ الْمُجَاهِرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فَلَانُ، عَمِلْتُ الْبَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُضِيحُ يَكْشِفُ سِرَّ اللَّهِ عَنْهُ**»^(٢).

إذا تعبد الناس باسم الله السَّيِّر فسَتَرُوا على أنفسهم قُلْتَ المعاصي؛ لأنَّ الذي يُشجع الناس على المعاصي: هو المُجَاهِرَة، هذا يرى فلاناً يُدْخَنُ فيفعل مثله، والناس مجبولون على تشبه بعضهم ببعض، فإذا سَتَرَ الناس بستر الله تعالى قُلْتَ المعاصي. وكما أنَّ ربَّنَا جل وعلا حَيِّي سَيِّرٌ يحب الحياء والسِّر فإنه جل وعلا يحب منك أن تتعامل مع الناس بالحياء والسِّر، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ**»^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنْ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللَّهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»^(٤)، وقد علَّمتنا النبي صلى الله عليه وسلم أن ندعو في كل صباح ومساءً بأن نقول: «**اللَّهُمَّ اسْتُرْ عَوْرَاتِي، وَآمِنْ رَوْعَاتِي**»^(٥).

(١) أخرجه النسائي في «المجتبى» (٤٠٦)، وأبو داود في «السنن» (٤٠١٢)، وصححه الألباني في «الإرواء» (٣٦٧/٧).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٠٦٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٩٩٠).

(٣) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٩٩).

(٤) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٨٨٠) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٥٨٩ / ٢).

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» (٥٠٧٤)، وابن ماجه في «السنن» (٣٨٧١) وصححه الألباني في «صحيح

وهنا مسألة: وهي أن بعض الناس يخلو بمحارم الله فينتهكها ولا يبالي بها، ويتوهم أن الله تعالى يعفو عنه؛ لأنه لم يُجَاهِر بها، وقد جاء في هذا وعيدٌ شديد؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيمن يأتي يوم القيامة بجبال من الأعمال ثم تذهب هباءً منثورًا: **«أَمَّا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ، وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ اللَّهِ انْتَهَكُوهَا»** ^(١)، فعلى المسلم أن يراقب ربه، ويعلم أن الله مُطَّلِعٌ عليه، يعلم حاله وما في نفسه.

قوله: **«الْحَلِيمُ»**: كثير الصفح والأناة، الذي لا يعجل على عباده بعقوبتهم على ذنوبهم. قوله: **«عَفُوٌّ»**: من العفو، والعفو: محو الذنب وإسقاط العقوبة.

قوله: **«الْغَافِرُ الْغَفَّارُ وَالْغَفُورُ»**: من المغفرة: وهي محو الذنب مع السِّرِّ والرضا، فالعفو: ترك العقوبة، والمغفرة: تركٌ للعقوبة مع السِّرِّ، يُقال: عَفَتِ الرِّيحُ الأثر: إذا أزالته، والمِغْفَرُ: الخوذة التي تلبس على الرأس فيها السِّرُّ؛ لأنها تقيه الضربات.

قوله: **«يَا تَوَّابٌ»**: هو سبحانه التَّوَّاب، الذي يأذن بتوبة عباده، ويقبل توبتهم. ولتتفكر معًا في هذا المثل الذي ضربهُ النبي صلى الله عليه وسلم: رجل يسير في صحراء، وعنده راحلته عليها طعامه وشرابه، وهكذا فجأة انفلتت عنه راحلته ولم يدركها، ثم إنه يئس حتى أيقن بالموت، فوجد شجرةً استظلَّ تحتها ينتظر الموت، وبينما هو نائم إذا به يسمع صوتًا، فرفع رأسه وإذا براجلته عند رأسه وعليها طعامه وشرابه، كيف سيكون فرحُه؟! من شدة الفرح قال: **«اللَّهُمَّ أَنْتَ عَبْدِي وَأَنَا رَبُّكَ، أَخْطَأَ مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ»**، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: **«لَلَّهِ أَشَدُّ فَرَحًا بِتَوْبَةِ عَبْدِهِ حِينَ يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِنْ أَحَدِكُمْ كَانَ عَلَى رَاحِلَتِهِ بِأَرْضٍ فَلَاةٌ»** ^(٢)، وذكر المثل الذي تقدم، فالله سبحانه وتعالى يفرح بتوبتك إذا تبت إليه أشدَّ من فرح هذا الرجل براجلته وقد يئس من الحياة، كم لهذا الفرح من التأثير على قلب العبد المؤمن؟!

الترغيب والترهيب» (١/ ٤١٦).

(١) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٤٢٤٥) وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٥٩١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٣٠٩)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٤٧) واللفظ له.

تقول في نفسك: الله سبحانه وتعالى، الله جل جلاله الخالق العظيم يفرح بتوبتي وأنا العبد المسكين، فينجذب حينئذ قلب العبد إلى التوبة إلى الله سبحانه وتعالى.

رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَدْعُونَا إِلَى التَّوْبَةِ إِلَيْهِ، ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠]، وكما أَنَّ الله تعالى يفرح بتوبتنا؛ فهو يدعونا إلى مغفرته؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يَنْزِلُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرِ يَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي، فَأَسْتَجِبَ لَهُ مَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ»^(١)، يقول بعض السلف: «أدركت أقوامًا يستحيون من الله في سواد هذا الليل من طول الضجعة»^(٢)، والله جلَّ وعلا غفور رحيم حلیم يغفر للعباد مهما أسرفوا على أنفسهم، بعد أن ذكر الله تعالى شرك النصارى وتنقصهم له سبحانه وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة: ٧٢]، و﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ﴾ [المائدة: ٧٣]، قال الله تعالى بعد ذلك: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤]، أصحاب الأخدود الذين حرَّقوا أولياء الله بالنار يقول الله تعالى فيهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠]، يقول الحسن البصري: «انظروا إلى هذا الكرم والجود حرَّقوا أولياءه بالنار وهو يدعوهم إلى التوبة والمغفرة»^(٣)، وهذا فرعون الطاغية الذي قال: أنا ربكم الأعلى، يرسل الله تعالى له موسى وهارون ويقول لهما عليهما السلام: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْتًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ [طه: ٤٤]، يمهله الله، فالله تعالى هو الحلیم، وما أجمل ما قال بعضهم في هذه الآية؛ قال: «سبحانك ربِّي ما أحلمك إذا كان هذا حلمك بمن قال: أنا ربكم الأعلى، فكيف يكون حلمك بعبد يسجد لك ويقول: سبحان ربي الأعلى!!»، فالله تعالى حلیم لا يعاجل عبده بالعقوبة؛ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١١٤٥)، ومسلم في «الصحيح» (٧٥٨).

(٢) أخرجه ابن أبي الدنيا في «التهجد وقيام الليل» (٦٠) عن الضحاك من قوله.

(٣) ينظر: «التفسير» لابن كثير (٩٤ / ٦).

اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٥﴾ [فاطر: ٤٥]، برحمته وحلمه، يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمَسِّكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]؛ أي ما أَمْسَكَهُمَا من أحدٍ من بعده، ثم بِمِ خُتِمَتِ الآية؟ ﴿إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ [فاطر: ٤١]؛ أي بسبب معاصي العباد وكفرهم وظلمهم تكاد السماوات أن تقع على الأرض، وأن تزول السماوات والأرض عن أماكنهما، ولكن أَمْسَكَهُمَا الله بحلمه ومغفرته لعباده، فكيف بعد ذلك لا نتوب ولا نستغفر؟! التوبة إلى الله فيها الخير كله؛ وقد جاء رجل إلى الحسن البصري يشكو الجَدَبَ في بُسْتَانِهِ، فقال له: أكثر من الاستغفار، وجاء آخر يشكو الفقر فأرشده إلى الاستغفار، وجاء آخر يشكو العُقم وأنه لا ولد له فأرشده إلى الاستغفار، فسئل عن ذلك فقال: «ألم يقل الله تعالى: ﴿قُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا﴾﴾ [نوح: ١٠ - ١٢]»، فالتوبة والاستغفار سببٌ لكل خير.

والاستغفار سبب للقوة على الطاعات، والأعمال الصالحات، ﴿وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ﴾ [هود: ٥٢]، فإذا استغفرت الله وجدت في نفسك قوة على الطاعة.

والاستغفار كذلك يُصَفِّي القلوب؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْةٌ سَوْدَاءٌ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُو قَلْبُهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللَّهُ» ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤]»^(١)، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «طُوبَى لِمَنْ وَجَدَ فِي صَحِيفَتِهِ اسْتَغْفَارًا كَثِيرًا»^(٢).

(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٣٣٣٤)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢٤٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢١٧ / ٣).

(٢) أخرجه ابن ماجه في «السنن» (٣٨١٨)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢٧٠ / ٢).

الاستغفار والتوبة دأبُ الأنبياء؛ فهذا نبي الله آدم عليه السلام يستغفر هو وزوجه حواء:

﴿قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]،

ونوح عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [نوح: ٢٨]، و خليل الله إبراهيم عليه السلام يقول: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: ٤١]، ويقول: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ [الشعراء: ٨٢]، وكليم الله موسى عليه السلام يقول: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ [الأعراف: ١٥١]، والله تعالى يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: ﴿وَاسْتَغْفِرِ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [النساء: ١٠٦]، ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرِ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾ [محمد: ١٩]، وهي دأبُ الصالحين؛ علّم النبي صلى الله عليه وسلم أبا بكر الصديق رضي الله عنه أن يقول: «اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ»^(١)، هذا وهو الصديق.

ويُشرع الاستغفار في ختام العبادات؛ فبعد الصلاة تقول: أستغفر الله، أستغفر الله، أستغفر الله، وبعد قيام الليل: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۖ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧ - ١٨]، وحياة النبي صلى الله عليه وسلم الطيبة خُتِمت بهذا: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ۖ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ١ - ٣]، فما لنا إلا مغفرتُه سبحانه.

من التَعَبُّدُ لله باسمه: الحليم، الغافر، الغفار، الغفور، العفو، التَّوَّابُ: أن تعفو عن إخوانك، فالله تعالى حليمٌ يحب أهل الحلم، وهو سبحانه وتعالى عفوٌ يحب أهل العفو، حليم يحب أهل الحلم، فإذا كنت تعفو عن الناس فإن الله تعالى سيعفو عنك، وإذا كنت حليمًا في تعاملك مع الناس؛ عاملك الله بحلمه، وفي الصحيحين: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «كَانَ تَاجِرٌ يَدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا،

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٨٣٤)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧٠٥).

فَتَجَاوَزَ اللَّهُ عَنْهُ^(١)، فكما تكون مع الناس يكون الله لك، نسأل الله أن يعفو عنا ويغفر لنا.

قوله: «يَا شَكُورُ»: من أسمائه سبحانه وتعالى: الشاكر، والشكور؛ فهو الذي يثني على العبد بطاعته، ويضاعف القليل من عمله ويقبله، **﴿إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ لِيُؤْفِقَهُمْ أَجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾** [فاطر: ٣٠]، فالله تعالى يشكر سعي الساعين، ويثني عليهم به، ويضاعف أجورهم، وانظر في تلك القصة التي ذكرها النبي صلى الله عليه وسلم لبغي من بغايا بني إسرائيل: رأت كلبًا في الصحراء يمضُّ التراب من العطش، فنزلت في البئر وملأت خفَّها بالماء وسقت هذا الكلب، فشكر الله تعالى لها سعيها وغفر لها^(٢)، فالله تعالى شكور يضاعف العمل الصالح ولو كان قليلاً؛ **﴿وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُّضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [النساء: ٤٠]، انظر في صلاة الجماعة تضاعف إلى سبع وعشرين درجة، الصدقة يقول الله تعالى: **﴿مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾** [البقرة: ٢٦١]، وقال تعالى: **﴿إِنْ تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُّضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾** [التغابن: ١٧]، شكور يضاعف هذه الصدقات، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدَلٍ تَمَرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللَّهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، فَإِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرِيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرِي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ - يعني مُهْرَهُ الصَّغِيرَ - حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ»^(٣)، هذه الصدقة اليسيرة تكون مثل الجبل، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً»، مجرد هذه النية الصالحة يشكرها الله تعالى لك، فيكتبها لك حسنة كاملة وأنت لم تعملها، «فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِثَّةٍ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢٠٧٨)، ومسلم في «الصحيح» (١٥٦٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٤٦٧)، ومسلم في «الصحيح» (٢٢٤٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الصحيح» (١٤١٠)، ومسلم في «الصحيح» (١٠١٤).

فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً^(١)، إعراضك عن الشّر يشكره الله تعالى ويكتبه عنده حسنة كاملة.

ومن صور شكر الله تعالى لعبده: أَنَّ مَنْ ذَكَرَ اللَّهَ ذَكَرَهُ اللَّهُ؛ كما قال الله تعالى في الحديث القدسي: «مَنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي»^(٢)، قال الله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، تستشعر هذا: أَنَّكَ إِذَا ذَكَرْتَ اللَّهَ ذَكَرَكَ اللَّهُ، فهذا يجعلك لا تملك إلا أن تلهج بذكره سبحانه وتعالى.

ومن شكره تعالى للصائمين: «أَنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يَصَلُّونَ عَلَى الْمُتَسَحِّرِينَ»^(٣)، أي إذا قمت تتسحّر تأكل وتشرب فإنَّ الله تعالى يشكر لك عملك هذا ويُثني عليك في الملائكة الأعلى بين ملائكته الكرام، والذي يعلم الناس الخير كذلك يشكر الله له سعيه؛ «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِينَ حَتَّى النَّمْلَةِ فِي جُجْرِهَا وَحَتَّى الْحُوتِ لِيُصَلُّوا عَلَى مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»^(٤).

ومن المعاني الجميلة في اسم الله تعالى الشكور: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية؛ قال: «إذا لم تجد للعمل الصالح طمأنينة في قلبك، وانشراحاً في صدرك؛ فَاتَّهَمْ فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ، لِأَنَّ الرَّبَّ شَكُورٌ»^(٥)، أي أَنَّ الْعَبْدَ إِذَا عَمِلَ الْعَمَلَ الصَّالِحَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ فِي قَلْبِهِ حَلَاوَةَ الْعِبَادَةِ، فَإِذَا لَمْ تَجِدْ ذَلِكَ فِي قَلْبِكَ فَاتَّهَمْ عَمَلَكَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، إذا لم تجد حلاوة للعمل فَاتَّهَمْ عَمَلَكَ، فلا بدَّ أَنْ يَكُونَ فِيهِ نَقْصٌ، قَدْ يَكُونُ الْقَلْبُ تَعَلَّقَ بِغَيْرِ اللَّهِ، قَدْ يَكُونُ الْعَبْدُ أُعْجِبَ بِعَمَلِهِ.

(١) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٤٩١)، ومسلم في «الصحيح» (١٣١).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٧٤٠٥)، ومسلم في «الصحيح» (٢٦٧٥).

(٣) أخرجه أحمد في «المسند» (١١٢٥٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٧ / ١٢٠٥).

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٦٨٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١٤٤).

(٥) ينظر: «مدارج السالكين» لابن القيم (٢ / ٦٨).

والله تعالى شكورٌ يحب عباده الشاكرين، وشكر العبد لربه يكون بالعمل الصالح وبترك المعاصي؛ ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

ومن شكر الله تعالى: أن تشكر عباد الله الذين أدّوا إليك شيئاً من المعروف؛ لأنَّ الله تعالى ساق هذه النعمة على أيديهم، فمن تمام شكره: أن تشكرهم؛ كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: «لَا يَشْكُرُ اللَّهُ مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ»^(١)، وكلّما شكرت الله زادك الله من فضله؛ ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧].

قوله: «وَدُودٌ»: من أسمائه الحسنی: الودود، الودود: المُحِبُّ لأوليائه، المحبوب من أوليائه، وأسماء الله تعالى كلها حسنى، وتزيد حسناً بالاقتران، وقد اقترن اسم الله تعالى الودود باسمه الغفور في سورة البروج؛ ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤]، الإنسان إذا عصى الله تعالى ستتنقص درجته، لكن إذا تاب إليه فإنَّ الله تعالى يُعيدُ إلى عبده محبته، قد يظن من عصى الله أنَّه ستسقط منزلته عند الله، ولا يرجع إلى ما كان عليه من محبة الله له؛ لكن هذا التوهُم نفاه الله تعالى في قوله: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْودُودُ﴾ [البروج: ١٤]، هو الغفور يغفر الذنب لمن تاب واستغفر، وفي الوقت نفسه ترجع محبته إلى عبده، وتكون درجتك في المحبة بحسب حالك في التوبة، والإنسان إذا أسيء إليه قد يسامح ويغفر، لكن تتغير منزلة المسيء عنده ولو عفا عنه فلا يعود إلى تلك المحبة التي كانت له قبل إساءته، لكن الله تعالى هو الغفور الودود، من تاب إليه رجعت محبة الله تعالى له، وقال تعالى في سورة هود: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ وَدُودٌ﴾ [هود: ٩٠]، أيضاً ذكر اسم الودود مع الاستغفار.

قوله: «يَا نَصِيرُ»: ومن أسمائه تعالى: النَّصِير، النصير: الذي ينصر أوليائه بعونهم على عدوهم، وعدم خذلانهم، والنصر مربوطٌ بطاعة الله؛ ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٢٦]، ﴿إِنَّ يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٠]، وقد سبق نحو هذا في

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (٤٨١١)، والترمذي في «الجامع» (١٩٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح

اسم الله العزيز.

قوله: «يا حَسِيبُ»: ومن أسمائه الحُسنى: الحَسِيبُ، والحَسِيبُ له معنيان:

أولهما: الكافي لعباده ممّا يضرّهم، وعليه؛ فهو قريب من اسم الله: الكافي، والوكيل، والحافظ، والحفيظ، وقد تقدم الكلام عن هذه الأسماء الحسنى.

والله المهنئ الآخر: الذي يحاسب الناس على أعمالهم، وعليه؛ فهو قريب من اسم الله: الديان، والحكم، الذي سيأتي الكلام عنه قريباً إن شاء الله.

قوله: «يا مُقَدِّمُ مُؤَخَّرٍ»: من أسمائه تعالى: المقدم، والمؤخر، «رَأَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى

اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي أَصْحَابِهِ تَأَخَّرًا - أي عن صفوف الصلاة -، فَقَالَ لَهُمْ: «تَقَدَّمُوا فَأَتَمُّوا بِي،

وَلِيَأْتَمَّ بِكُمْ مِنْ بَعْدَكُمْ، وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»^(١)، النبي صلى

الله عليه وسلم لما رأى بأصحابه تأخراً عن الصفوف الأولى لم يُعجبه هذا التأخر، ووعظهم،

وحذّره من التأخر؛ لأنّه تأخّر عن الخيرات، وقال: «وَلَا يَزَالُ قَوْمٌ يَتَأَخَّرُونَ حَتَّى يُؤَخِّرَهُمُ

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ»، التفاوت في التقدم والتأخر عظيم؛ ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ بِصِيرٍ بِمَا

يَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٣]، في الآخرة من الناس من يكون في أعلى عليين، ومن الناس من

يكون في أسفل سافلين، ثم أهل الجنة درجات؛ ﴿هُم دَرَجَاتٌ عِنْدَ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٦٣]،

فأهل الجنة منهم من يتراءى أهل الغُرف من فوقهم؛ كما يقول النبي صلى الله عليه وسلم:

«كَمَا تَرَاءَوْنَ الْكَوْكَبَ الدَّرِّيَّ الْغَائِرَ مِنَ الْأَفْقِ مِنَ الْمَشْرِقِ أَوْ الْمَغْرِبِ، لِتَفَاضِلِ مَا بَيْنَهُمْ»^(٢)،

من أهل الجنة من يرى ربّه كل يوم بكرةً وعشيّاً، ومنهم من يراه مرةً في الأسبوع، والتقدم

الحقيقي ليس هو التقدّم بالمال، أو الجاه، أو المُلْك؛ التقدم الحقيقي: هو التقدّم بطاعة الله،

هذه حقيقة التقدّم عند الله، كان النبي صلى الله عليه وسلم يسير مع أصحابه فلعلّ بعض

الصحابه تعب أو تأخّر، فأراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يحثّهم على السرعة، وكانوا مرّوا

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٤٣٨).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٣٢٥٦)، ومسلم في «الصحيح» (٢٨٣١).

على جبلٍ يُقال له: جُمْدَان، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «سِيرُوا هَذَا جُمْدَانُ سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ» قَالُوا: وَمَا الْمُفَرِّدُونَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»^(١)، انظر ما أجمل هذا الرِّبْط؛ هم يسرون بأبدانهم يُسرعون إلى هذا الجبل، لكن النبي صلى الله عليه وسلم يكشف عن حقيقة المُسرِع المتفرد بالسَّبق، لأنَّ الذي يسبق غيره يكون فردًا، فقال صلى الله عليه وسلم: «سَبَقَ الْمُفَرِّدُونَ»؛ أي الذين تقدّموا على غيرهم، فسألوه عن المُفَرِّدين؟ فقال: «الذَّاكِرُونَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتُ»، هذا هو التقدّم الحقيقي، قال عمر بن عبدالعزيز وقد رأى وفود الحَجِيج يُسرعون بعد عرفة إلى المزدلفة برّواحِلهم، قال: «ليس السابق اليوم من سبق به بغيره؛ إنما السابق من غُفِرَ له»^(٢).

ومن أعظم ما يُقدّمك عند الله: العلم النافع؛ ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١]، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَضَعُ أَجْنِحَتَهَا لِطَالِبِ الْعِلْمِ رِضًا بِمَا يَطْلُبُ، وَإِنَّ الْعَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ حَتَّى الْحِيتَانُ فِي الْمَاءِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، إِنَّمَا وَرَّثُوا الْعِلْمَ، فَمَنْ أَخَذَ بِهِ أَخَذَ بِحِطِّ وَافِرٍ»^(٣)، وقال صلى الله عليه وسلم: «فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِي عَلَى أَدْنَاكُمْ»^(٤)، وفي الحديث الآخر: «كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ»^(٥)، وقال صلى الله عليه وسلم: «يُقَالُ لِصَاحِبِ الْقُرْآنِ: اقْرَأْ، وَارْتَقِ،

(١) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٧٦).

(٢) ينظر: «لطائف المعارف» لابن رجب (ص ٥٤٣).

(٣) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «السنن» (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١٣٨).

(٤) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٦٨٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١٤٤).

(٥) أخرجه أبو داود في «السنن» (٣٦٤١)، والترمذي في «الجامع» (٢٦٨٢)، وابن ماجه في «السنن» (٢٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١ / ١٣٨).

وَرَتِّلْ كَمَا كُنْتَ تُرَتِّلُ فِي الدُّنْيَا، فَإِنَّ مَنَزِلَكَ عِنْدَ آخِرِ آيَةٍ تَقْرُؤُهَا»^(١)، هذا هو التقدُّم الحقيقي، وكما تحرص على التقدُّم؛ ينبغي أن تحذر من التأخُّر، والذي يؤخر عن الخيرات: معصية الله، وانظر كيف ذكر النبي صلى الله عليه وسلم هذين الاسمين: المُقَدِّم والمؤخَّر عند الدعاء بالمغفرة؛ «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخَّرُ»^(٢)، لماذا الاقتران بين المُقَدِّم والمؤخَّر بين سؤال المغفرة؟ الجواب: لأنَّ من غفرت ذنوبه قَدَّمَهُ اللهُ، ومن لم تُغفر ذنوبه فَإِنَّهُ أَخَّرَ نفسه.

وما أجمل أن تستشعر هذين الاسمين في كل حياتك، لا تظنُّ أَنَّكَ تعيش في هذه الدنيا في وقوف؛ بل أنت إمَّا أن تكون في تقدِّمٍ، أو تأخُّرٍ؛ ﴿لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧]، كل لحظة من لحظات حياتك إمَّا أن تتقدَّم فيها أو تتأخَّر، وقد رُوي في الحديث: «مَا مِنْ سَاعَةٍ تَمُرُّ بِأَبْنِ آدَمَ لَمْ يَكُنْ ذَكَرَ اللهُ فِيهَا بِخَيْرٍ إِلَّا تَحَسَّرَ عِنْدَهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(٣)، حتى هذه الثواني التي تسكت فيها ولا تقول شيئاً، هذه في الحقيقة تأخُّرٌ باعتبار من يذكر الله فيها.

لَحْظَةً يَا صَاحِبِي إِنْ تَغْفَلَ أَلْفَ مِيلٍ زَادَ بُعْدُ الْمَنْزِلِ

نسأل الله تعالى أن يقدِّمنا، ولا يؤخِّرنا.

قوله: «رُحْمَاكَ يَا دِيَّانُ أَنْتَ الْحَكَمُ»: من أسمائه الحسنَى: الدِّيَّان، والحَكَم: تأمَّل في هذا الحديث الذي رُحل جابر بن عبد الله رضي الله عنهما شهراً إلى الشام لسمعته؛ حديث عبد الله بن أنيس، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُرَاةً غُرْلًا بُهْمًا، قَالَ: قُلْنَا: وَمَا بُهْمًا؟ قَالَ: لَيْسَ مَعَهُمْ شَيْءٌ، ثُمَّ يُنَادِيهِمْ بِصَوْتٍ يَسْمَعُهُ مَنْ قَرَبَ: أَنَا الْمَلِكُ أَنَا الدِّيَّانُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَهُ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ حَقٌّ، حَتَّى

(١) أخرجه أبو داود في «السنن» (١٤٦٤) وابن ماجه في «السنن» (٣٧٨٠) وصححه الألباني في «صحيح الترمذي والترهيب» (١٦٥ / ٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٣٩٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٧١٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨٣١٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٩٩٧ / ٢).

أَقْصَهُ مِنْهُ، وَلَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ وَلَا أَحَدٍ مِنْ أَهْلِ النَّارِ عِنْدَهُ حَقٌّ، حَتَّى أَقْصَهُ مِنْهُ، حَتَّى اللَّطْمَةُ، قَالَ: قُلْنَا: كَيْفَ، وَإِنَّا إِنَّمَا نَأْتِي اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ عُرَاةَ غُرْلًا بُهُمَا قَالَ

بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ^(١)، الله تعالى هو الديان الذي يحكم بين عباده ويفصل بينهم، ويجازيهم يوم القيامة على أعمالهم، وهو الحكم الذي يحكم بين عباده فيما هم فيه يختلفون، ويدخل في ذلك: أنه سبحانه وتعالى الذي له الحكم الكوني والشرعي، فلا يقع في الكون إلا ما حكم به الحكم سبحانه وتعالى، وأيضاً الحلال ما حكم سبحانه وتعالى بحلّه، والحرام ما حكم بحرّمته، فهو الحكم سبحانه وتعالى، ويدخل في ذلك: أنه الذي له الحكمة في هذا القضاء الكوني والشرعي، وقد سبق الكلام عن هذا المعنى الأخير في اسم الله: الحكيم.

الديان الحكم يجازي الخلائق جميعاً على أعمالهم، حتى البهائم يجازيها يوم القيامة؛ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: «لَتُؤَدَّنَ الْحُقُوقُ إِلَى أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ»^(٢)، الشاة الجلحاء التي لا قرن لها، كانت تُنطح في الدنيا، فتأخذ حقّها يوم القيامة من الشاة القرناء فتنتطحّها، فالله تعالى يقيم العدل بين البهائم والحيوانات يوم القيامة، فكيف ببني آدم!! ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١]؛ سائق يسوقك إلى الله، وشهيد يشهد عليك بأعمالك، ﴿وَكُلُّ إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنْشُورًا﴾^(٣) اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً^(٤) [الإسراء: ١٣ - ١٤]، يقول الحسن البصري: «لقد أنصفك يا ابن آدم من جعلك حسيب نفسك»^(٥) فالحساب شديد، والميزان دقيق؛ ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾^(٦) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ^(٧) [الزلزلة: ٧، ٨].

يعيش المسلم مع اسمي الله الديان والحكم في الدنيا، فيستشعر دائماً أنه محاسب على

(١) أخرجه أحمد في «المسند» (١٦٢٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٤٢٧ / ٣).

(٢) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٥٨٢).

(٣) أخرجه ابن المبارك في «الزهد والرقائق» (١٥٦٣).

كل عمل، فيكون على وجلٍ وحذرٍ، فيستقيم على طاعة الله، ويحذر من التهاون بالمعاصي، «إِيَّاكُمْ وَمُحَقَّرَاتِ الذُّنُوبِ»^(١)، وهي الذنوب التي يستهين بها الناس، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم لما مرَّ على قبرين: «إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ» يعني في ظنَّهما، ثم قال: «بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ»؛ أي في الحقيقة هو كبير، إذا عصيت الله فلا تنظر إلى صغر المعصية، ولكن انظر إلى من عصيت، «بَلَى إِنَّهُ كَبِيرٌ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لَا يَسْتَرُّ مِنَ الْبَوْلِ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ»^(٢)، وفي بعض الروايات: «كَانَ يَغْتَابُ النَّاسَ»^(٣)، يستهين بهذه الكلمة فيسخر بالناس ويغتاهم، ولا يشعر أن الله تعالى هو الديان الحَكَم الذي يُحصي عليه كل شيء، «إِنَّ الرَّجُلَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللَّهِ لَا يُلْقِي لَهَا بَالًا يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ سَبْعِينَ خَرِيفًا»^(٤)، قال أنس رضي الله عنه: «إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعْرِ، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْمُوبِقَاتِ»^(٥)، وقال ابن مسعود رضي الله عنه ويروى مرفوعاً: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ، وَإِنَّ الْفَاجِرَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَذُبَابٍ مَرَّ عَلَى أَنْفِهِ»^(٦)، ومن يتعبد باسمي الله تعالى الديان الحَكَم كما أنه لن يحتقر المعصية؛ فكَذَلِكَ لَنْ يَحْتَقِرَ الْحَسَنَةَ، «لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهِ طَلْقٍ»^(٧)، «تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ»^(٨)، ما تدري لعل هذه الحسنه تكون سبباً في نجاتك يوم القيامة.

-
- (١) أخرجه أحمد في «المسند» (٣٨٩٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٢/ ٦٤٤).
 (٢) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٢١٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٩٢).
 (٣) أخرجه أبو يعلى في «المسند» (٢٠٥٠).
 (٤) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٤٧٨)، ومسلم في «الصحيح» (٢٩٨٨).
 (٥) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٤٩٢).
 (٦) أخرجه البخاري في «الصحيح» (٦٣٠٨).
 (٧) أخرجه مسلم في «الصحيح» (٢٦٢٦).
 (٨) أخرجه الترمذي في «الجامع» (١٩٥٦)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣/ ٢٠).

ومن التَّعَبُّدُ لله تعالى باسمه: الدِّيَّان، والحَكَم: أن تحاسب نفسك في الدنيا قبل أن تُحاسب يوم القيامة؛ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الحشر: ١٨]، وقد رُوي في حديث في إسناده ضعف^(١) لكن معناه صحيح: «الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»، فينبغي أن نحاسب أنفسنا ما دُمنا في دار العمل قبل أن يأتي الأجل ونقف بين يدي الديان الحَكَم سبحانه وتعالى.

هذا آخر المُدارسة لهذا النِّظَم المبارك، وهو نظمٌ نافع، وسهّل مدارسته: ضَمَّ النَّاطِمَ للمُتقارب في المعنى من الأسماء الحُسنى في موضع واحد، أسأل الله أن يبارك في النّاطم، وأن يُعَلِّي درجته، وأن يجعل له من أجر هذه المدارسة أوفرَ حَظٍّ ونصيب.

وهذا الذي أخذناه في هذه المدارسة جُلُّه مستفادٌ من الشيخ خالد بن إسماعيل أدام الله نفعه، وأجرى الخير على يديه، جُلُّ ما أخذناه الكلام فيه كلام الشيخ حفظه الله ووفقه.

وفي ختام هذه المجالس نسأل الله تعالى أن يغفر لنا ويعفو عنا، فمهما تحدّث المتحدّث عن أسماء الله تعالى وصفاته فلن يُوفِّي شيئاً ممّا يستحقه الله تعالى من الكمال والتعظيم؛ لأنَّ كمال الله تعالى لا ينتهي له، فهو الرَّبُّ الجليل الكبير العظيم جل جلاله وتقدست أسماؤه.



(١) أخرجه الترمذي في «الجامع» (٢٤٥٩)، وابن ماجه في «السنن» (٤٢٦٠)، وضعفه الألباني في «ضعيف

الترغيب والترهيب» (٣٥١ / ٢).



فهرس المحتويات

٤	النظم
٦	المقدمة
١٤	الشرح
١٤	الاسم الكريم «الله»
١٥	الرَّبُّ
١٧	الْأَحَدُ
١٨	الْوَاحِدِ
١٨	السَّيِّدُ
١٩	الْوِتْرُ
٢٠	الصَّمدُ
٢١	الإله
٢٢	الحقُّ
٢٥	المالكُ
٢٥	المَلِكُ
٢٧	الْقَيُّومُ
٢٨	الْوَاسِعُ
٣٠	الكَبِيرُ
٣٣	المَجِيدُ
٣٣	الْحَمِيدُ

٣٥	السلام.....
٣٥	السُّبُوح.....
٣٥	القُدُّوس.....
٣٧	الأعلى.....
٣٧	العَلِيِّ.....
٣٧	المتعالى.....
٣٩	المحيط.....
٣٩	الأول.....
٣٩	الآخر.....
٣٩	الظاهر.....
٣٩	الباطن.....
٤١	المهيمن.....
٤١	الشَّهِيدُ.....
٤١	الرَّقِيبُ.....
٤١	العَلِيمُ.....
٤١	الخَبِيرُ.....
٤١	العالم.....
٤١	السَّمِيعُ.....
٤٢	البَصِيرُ.....
٤٥	القَادِرُ.....
٤٥	المُقْتَدِرُ.....
٤٥	القَدِيرُ.....

٤٥.....	القويّ
٤٥.....	المتين
٤٩.....	الحَكِيمُ
٥١.....	المُحْسِنُ
٥٢.....	الجَبَّارُ
٥٣.....	العَزِيزُ
٥٦.....	القَاهِرُ
٥٦.....	القَهَّارُ
٥٧.....	المُتَكَبِّرُ
٥٨.....	الجَمِيلُ
٦٠.....	النُّورُ
٦٢.....	الحَيُّ
٦٤.....	الْبَرُّ
٦٤.....	المُؤْمِنُ
٦٦.....	الْغَنِيُّ
٦٧.....	الْوَارِثُ
٦٧.....	الرَّفِيقُ
٦٧.....	الْحَفِيُّ
٦٨.....	الرحمن
٦٨.....	الرحيم
٦٨.....	الرؤوف
٧٠.....	المُبِينُ

٧٠	الهَادِي
٧١	اللَّطِيفُ
٧٤	الحافظ
٧٤	الحفيظ
٧٤	المولى
٧٤	الولي
٧٤	الوكيل
٧٤	الكافي
٧٥	المجيب
٧٧	الشَّافِي
٨١	المعطي
٨١	الجواد
٨٢	الأكرم
٨٢	الكريم
٨٣	المنان
٨٤	الرَّازِق
٨٤	الرِّزَّاق
٨٤	الوهاب
٨٤	المستعان
٨٥	المقيت
٨٥	القباض
٨٥	الباسط

٨٦.....	الْفَتْاحُ
٨٩.....	الْحَيِّ
٨٩.....	السَّيْرُ
٩٣.....	الْحَلِيمُ
٩٣.....	العَفْوُ
٩٣.....	الْغَافِرُ
٩٣.....	الْغَفَّارُ
٩٣.....	الْغَفُورُ
٩٣.....	التَّوَابُ
٩٧.....	الشَّاكِرُ
٩٧.....	الشَّكُورُ
٩٩.....	الْوَدُودُ
٩٩.....	النَّصِيرُ
١٠٠.....	الْحَسِيبُ
١٠٠.....	المَقْدَّمُ
١٠٠.....	المُؤَخَّرُ
١٠٢.....	الدِّيَانُ
١٠٢.....	الْحَكَمُ
١٠٥.....	الخَاتَمَةُ
١٠٦.....	فهرس المحتويات